



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمزة لخضر



قسم اللغة العربية

كلية الآداب واللغات

صورة الصحراء في رواية

"فجر الغيطان" لخليفة قعيد

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- جهاد عبيد

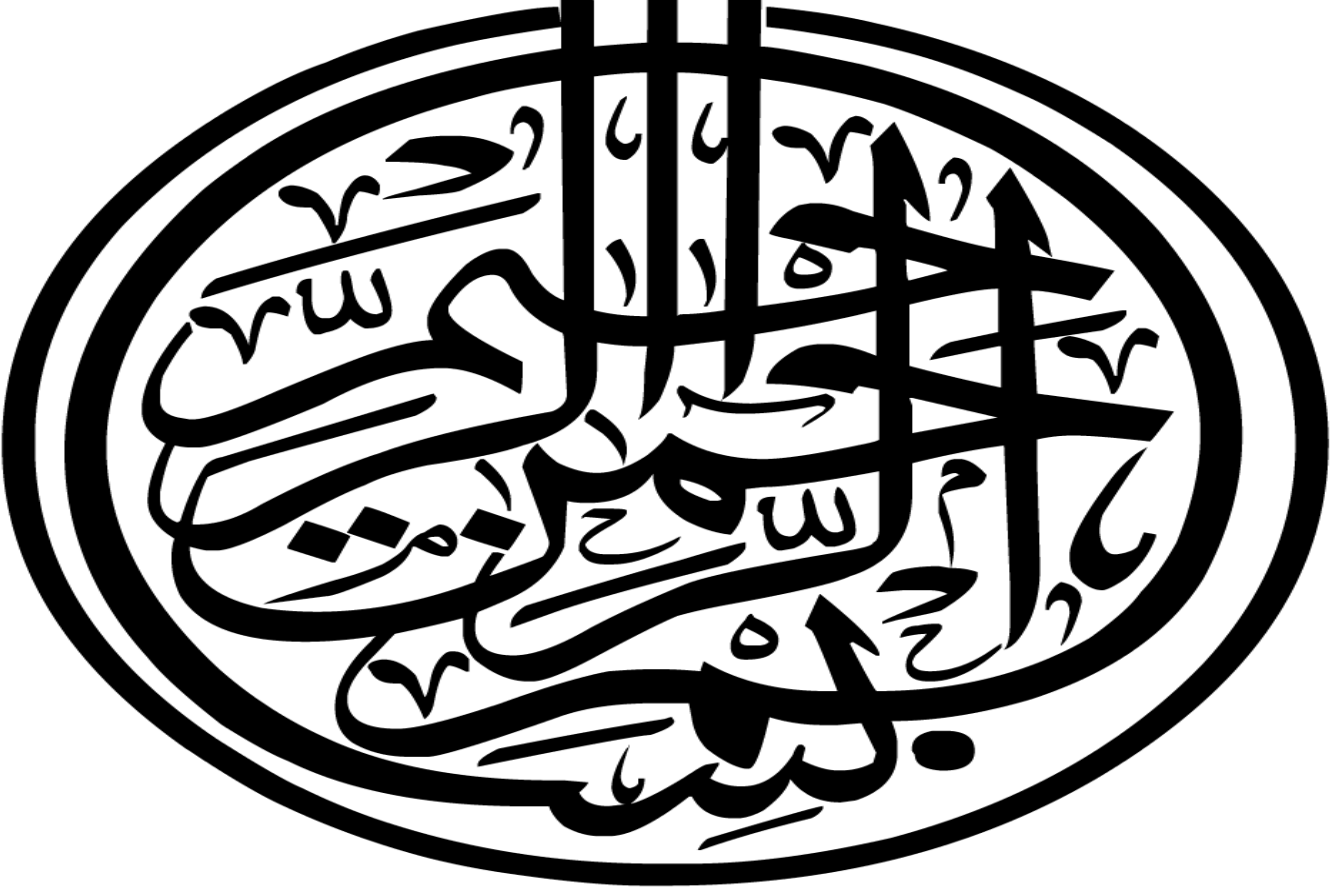
- مروة موساوي

لجنة المناقشة:

مشرفاً و مقرراً	د. عبد الحميد جريوي
رئيساً	د. عبد القادر عباسي
مناقشاً	د. فضيلة بوجلخة

الموسم الجامعي: 1439هـ / 1440هـ، 2019/2018

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى عليه أفضل

صلوات ربي إلى من زرعنا الطموح في نفسي وعلمتني

الوفاء والإخلاص في حياتي

إلى القلب الذي ارتويت من الحب والتضحية والصدق

إلى والدتي طال الله في عمرها

إلى من غمرني بحطفه وحنانه وكان لي خير معين، ومن تحطمت جنبات فراشه

سهر ليراني حيث أنا

إلى والدي خفضه الله

إلى إخوتي وأخواني

إلى رفيقتي في مشوار عملي "مروة"

وقبل أن يجف مداد حبري أهديتها إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد

جهاد

إهداء

إلى حضني الجنان وراحة الأمان وتحت قدميها جنان
الرحمان وفي رضاها التوفيق وبصدق دعاها جازاني أمي الغالية

إلى رمز العطاء والصمود إلى الذي هي قدوتي

إلى من أدبني فأحسن تأديبي

أبي الغالي

إلى من هو سندي في الدنيا زوجي الكريم (عبد الجليل)

إلى فلذة كبدي ونبض الطفولة ابني العزيز (عبد القدوس)

إلى أخي الوحيد حفظه الله (محمد الطاهر)

إلى جميع أخواتي

إلى من تقاسمت معها العمل (جهاد)

مسرة

شكرنا وعزنا فإلهنا

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، حمدا لله على ما أوصلنا إليه، فلولا ما وصلنا هنا والصلاة والسلام على الرسول المصطفى محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين مرضوان الله عليهم أجمعين، ليس في الحياة ما هو أجمل من لحظة قطف الثمار وإذا بنا نجني ثمار ب حشا نقوله عز وجل القائل: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۗ﴾ . إبراهيم: 07

"فيا رب اجعلنا من الشاكرين"

تتقدم بالشكر والامتنان الخالص إلى ...

✓ الأستاذ الفاضل *عبد الحميد جربوي* على ما قدمه لنا من ملاحظات وإرشادات في تقويم هذا البحث من أجل أن يصل إلى أفضل صورة.

✓ كل ما ساندنا في مشوار بحثنا وأمدنا بالعدم المادي والمعنوي

ونسأل الله عز وجل السداد في القول والحكمة في الرأي والمجد في البصر والتوفيق في العمل

وأن يكون بحثنا شعلة مضيئة تنير درب كل طالب علم

✓ مروة

✓ جهاد

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الرواية من الفنون، التي لقت رواجاً، وتعتبر الأكثر حداثة في الشكل والمضمون، كما أنها تتميز بالتشويق في الأمور والمواضيع والقضايا المختلفة، سواءً أكانت أخلاقية أو اجتماعية أو فلسفية، فالرواية أكثر صعوبة وتعقيداً من القصة، حيث تتحدث عن الموقف والتجارب البشرية في زمان ومكان معينين، نستفيد منه في المواضيع العاطفية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والنفسية، المكان من العناصر الرئيسية للرواية، هو يرتبط بالزمان وذلك لتمكين القارئ من التعايش مع القصة، وتخيله للزمان والعصر الذي وقعت فيه الأحداث، وبالتالي استحالة كتابة رواية من دون مكان يلم بأحداثها.

وقد شهدت الساحة الأدبية تطوراً ملحوظاً في إطار الخطاب الروائي في الرواية العربية وذلك انتقالاً من دراسة النصوص الأدبية وفقاً لإطارها التاريخي، إلى تحليلها تحليلاً داخلياً وربطه بالسياقات الأخرى، وكل هذا الفضل يرجع إلى الباحثين والأدباء والنقاد في عملية البحث والتحليل فيما يخص البيئة الصحراوية وعملية خلق روح جديدة تتحرك في أغوارها الأحداث والشخصيات بطريقة متداخلة بين الزمان والمكان، أما هذه الدراسة فهي حديث عن الصحراء، وذلك من خلال اختيارنا لعنوان صورة الصحراء في رواية "فجر الغيطان" لـ "خليفة قعيد" ولمعالجة هذا الموضوع نظرح الإشكالات الآتية:

- كيف استطاع الروائي أن يوظف المكان في مظهره الصحراوي؟
- كيف استطاع الروائي أن يقبض روح الصحراء؟ وكيف كانت ملهمة له؟ وكيف استطاع توظيفها بشكل جمالي؟.

ولأن البحث يحتاج إلى خطة توضح معالمه، فقد اتبعنا خطة مكونة من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة متذيلة بملحق.

أما المدخل الموسوم بالمكان، الأنواع والأهمية، فقد قسمناه إلى ثلاثة عناصر تطرقنا في العنصر الأول إلى مفهوم المكان، والعنصر الثاني أنواع المكان، أما العنصر الثالث فقد خصصناه إلى أهمية المكان فنياً.

يأتي بعده الفصل الأول بعنوان الصحراء بين الماهية والخصائص، وأدرجنا تحته ستة عناصر فكان العنصر الأول يحتوي على مفهوم الصحراء، والعنصر الثاني خصائص الصحراء، والعنصر الثالث لمعالم الصحراوية، وأما العنصر الرابع الصحراء في الشعر الجاهلي، والعنصر الخامس الصحراء في الأدب الحديث. والعنصر السادس الصحراء عند القدامى والعنصر السابع الصحراء عند ايتيان دينيه وفرومنتان.

أما بالنسبة للفصل الثاني فقد كان بعنوان صورة الصحراء في الرواية، وتناولنا فيه مكونات عالم الصحراء في الرواية، أولاً عالم الكائنات الصحراوية، ثانياً المكونات الطبيعية لعالم الصحراء، ثالثاً: المكونات الرمزية لعالم الصحراء وفي الأخير خاتمة ملمة بعناصر البحث وذيّلنا البحث بملحق احتوى على السيرة الذاتية لـ "خليفة قعيد" وملخص الرواية والتعريف بولاية سوف.

وقد انفتح بحثنا على المنهج التأويلي المتمثل في مظهره الدلالي والمنهج السيسولوجي المتمثل في مظهره الاجتماعي، حيث كان المنهج المهيمن فهو الأنسب لهذه الدراسة، وقد دفعنا لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب أهمها:

- أن الموضوع خصب وقليل التداول.
- رغبتنا الملحة في الإطلاع عليه والولوج في عالم الصحراء والشغف لمعرفة ما يدور في المكان الصحراوي.
- أهمية الصحراء لها خصوصيات تتعكس على باقي مكونات العمل السردي. وقد اعتمدنا في دراستنا على جملة من المراجع التي شكلت زادا لهذا البحث وصبت في هذا الموضوع نذكر منها "أحمد وصفي" "عشائر الشام"، "عبد المالك مرتاض" في "نظرية الرواية بحث في

تقنيات السرد"، "حفناوي بعلي"، "صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات في الكتابات الغربية"، "سيزا قاسم"، "بناء الرواية" دراسة مقارنة، وغيرها من المراجع الأخرى التي لازمتنا طيلة دراستنا لهذا الموضوع وكأني بحث تعترضه صعوبات وعراقيل نذكر منها:

- قلة الدراسات التي تناولت الصحراء.

- حداثة الموضوع.

إلا أننا بفضل الله وعونه ثم توجيه المشرف لنا وتظافر مجهوداتنا، تمكنا من تذليل هذه الصعوبات وتجاوزها.

وفي الختام نشكر الله العلي القدير على ما من علينا بفضله، ونتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا "عبد الحميد جريوي" على تجشمه عناء الإشراف على هذا البحث، فقد كانت توجيهاته دعما وتحفيزا لنا للمضي قدماً، وانجازه على الوجه الذي يرقى له.

ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا ويزيدنا علماً ويوفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح.

مدخل: المكان، الأنواع والأهمية

1- مفهوم المكان

أ/- لغة

ب/- اصطلاحاً

2- أنواع المكان

3 - أهمية المكان فنياً

مدخل: المكان، الأنواع والأهمية

1- مفهوم المكان:

يشكل المكان عنصراً حيوياً من العناصر الفنية التي يقوم عليها بناء العمل الأدبي الروائي، فهو يكتسب قيمة عظيمة لا لأنه أحد عناصر الرواية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحوي كل عناصر الرواية بما فيها من حوادث وشخصيات وزمان، وما بينهم من علاقات، أي أنه الإطار العام والوعاء الكبير الذي يشهد أجزاء العمل كافة، الجزء المكمل للحدث وأرضية الفعل وخلفيته، ومن هنا سنتطرق إلى مفهوم المكان لغة واصطلاحاً.

أ- لغة:

لقد وردت كلمة المكان في لسان العرب لابن منظور «بمعنى الموضع، والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع».¹

وجاء في المعجم الفلسفي المكان هو «الموضع، وجمعه أمكنة، وهو المحل (lieu) المحدد الذي يشغله الجسم، تقول مكان فسيح، ومكان ضيق، وهو مرادف للامتداد (étendus)».²

وفي منجد اللغة والإعلام «المكان جمع أمكنة وأمكن وأماكن الموضع، يقال هو من العلم يمكن أي له فيه مقدرة ومنزلة».³

أما معجم الوسيط «المكان (أنضر: كون) والمكانة: المنزلة ورفع الشأن».⁴

1 - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، المجلد الثالث عشر، دار صادر بيروت، (دط)، (دت)، ص: 414.

2 - جميل صليبا، المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، (د ط)، 1972، ص: 412.

3 - المنجد في اللغة والإعلام، الجزء الثاني، منشورات دار الشرق، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص: 694.

4 - مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، الطبعة 4، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، مصر، 2004. ص: 882.

المكان الأنواع والأهمية

وأيضاً جاءت لفظة مكان وفقاً لسياق التعبير القرآني بمعنى الموضع والمستقر: لقوله

تعالى: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} ¹.

وقوله: {وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ} ².

وقوله أيضاً: {وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ} ³.

يمثل المكان مكوناً محورياً في بنية السرد حيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين. ويبقى تحديد مصطلح المكان لغوياً متبايناً في الكثير من التفسيرات، التي قد يتوافق بعضها مع الآخر ويتناقض البعض الآخر مع غيره وهذا الاتساع دلالاته اللغوية وعدم محدوديته.

ب/- اصطلاحاً:

يعد المكان من أهم المكونات التي تشكل بنية الخطاب الروائي، فهو العنصر الفعال الذي تجرى فيه الأحداث في الرواية، وللمكان عدة تعريفات، ما جاء به "حميد لحميداني" في تمييزه بين المكان والفضاء وأعتبر أن الفضاء أعم من المكان في قوله «إن الفضاء في الرواية أوسع وأشمل من المكان، إنه مجموعة الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية» ⁴.

ما نلاحظه في هذا التعريف أن حميد لحميداني ميز بين المكان والفضاء حيث اعتبر الفضاء أوسع من المكان أي: أن المكان جزء من الفضاء.

أما عبد "المالك مرتاض" فقد قدم بعض التفسيرات لمرادفات عدة للمكان كالحيز والفضاء وغيرها وهنا يقول «لقد خضنا في أمر هذا المفهوم وأطلقنا عليه مصطلح الحيز مقابلاً

1 - سورة مريم، الآية: 16.

2 - سورة ق، الآية: 41.

3 - سورة يس، الآية: 67.

4 - حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص: 64.

المكان الأنواع والأهمية

للمصطلحين الفرنسي والانجليزي (Space-Espace) ولعل أهم ما يمكن إعادة ذكره، هنا مصطلح الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفرغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقب والحجم والشكل على حين أن المكان نوقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده»¹.

ما نستنتجه من تعريف عبد المالك مرتاض للمكان، أنه فرق بين الفضاء والحيز وقد جعل المكان في العمل الروائي حيزا جغرافيا واحدا.

كما نجد "سيزا قاسم" ترى أن المكان «يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية كما أنه القرين الضروري للزمان، بحيث أنه لا يمكن تصور أية لحظة محدودة من الوجود دون وضعها في سياقها المكاني»².

«إن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى للسرد، لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي (Espace Verbal) بامتياز ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح أي عن كل الأماكن التي ندرکها بالبصر أو السمع، إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه ويحمله طابعا مطابقا لطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ المكان نفسه»³.

وبناءً على ما قدمته الدراسات والأبحاث المختصة في دراسة المكان، فإنه لم يبق في نظر الدارسين مجرد فضاء جغرافي، فهو يعد الإطار الذي تجرى فيه الأحداث وتنمو فيه الشخصيات حيث يبرز حركيتها وأفكارها وسماتها وانتمائها الاجتماعي في العمل الإبداعي، لذا يتداخل المكان مع عناصر العمل الروائي القصصي مؤثرا ومتأثرا، فهو عنصر أساسي مشارك من بداية الرواية إلى نهايتها.

¹ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1998، ص:121.

² - سيزا قاسم، بناء الرواية، (دراسة ومقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، (د ط)، 1987، ص:106.

³ - حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ص:27.

2- أنواع المكان:

يزداد عالم الرواية شساعة كلما قام على الاختلاف والتوافق، ويرجع ذلك أساسا إلى مكوناته، فكما أن للشخصية اختلافها وللأزمة تعددها، كذلك للأمكنة تنوعها.

وقد اختلف النقاد والباحثون في تحديدهم لأنواع المكان حيث صنف "غالب هلسا".

1- **المكان الخارجي:** هو المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية، حيث نجد المكان ساحة للأحداث، ومكملا لها، وليس عنصرا مهما في العمل الروائي إنه سلبى مستسلم، يخضع لأفعال الأشخاص.

2- **المكان الهندسي:** وهو المكان الذي تعرضه الرواية بدقة وحياد من خلال أبعاده الخارجية.

3- **المكان كتجربة معاشة داخل العمل الروائي:** وهو قادر على إثارة ذكر المكان عند المتلقي ولعل المؤلف عندما استعاد ذكرياته عن المكان جعل هذه الاستعادة لدى المتلقي نوعا من ذكرى المكان الخاص به، وهذا المكان نادر الوجود في الرواية العربية ولعل دراسة "هلسا" هي أول دراسة بالعربية نبهت النقاد والباحثين إلى أهمية المكان في الإبداع الروائي العربي، رغم تأثرها بدراسة (جماليات المكان) لغاستون باشلار التي عربها هلسا نفسه.¹

4- **المكان المعادي:** كالسجن والمنفى والطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة ويدخل تحت السلطة الأبوية بخلاف الأماكن الثلاثة السابقة فيراها أماكن أمومية.² أما "رومير" فيقترح نمذجة للمكان على أساس معيار السلطة حيث يميز بين أربعة أنواع للمكان وهي:

- **عندي:** وهو المكان الذي أمارس فيه سلطتي ويكون بالنسبة لي مكانا حميما وأليفا، إنه المكان الخاص.

1 - ينظر، محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى، 1996، ص: 111-112.

2 - ينظر، محمد عزام، شعرية الخطاب السردى، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 2005، ص: 66.

المكان الأنواع والأهمية

- عند الآخرين: وهو مكان يشبه الأول ولكنه يختلف عنه من حيث أنني بالضرورة أخضع فيه لسلطة الغير، ومن حيث أنني لا بد أن أعترف بهذه السلطة.

- الأماكن العامة: وهذه الأماكن ليست ملكاً لأحد معين ولكنها ملكا السلطة العامة (الدولة) النابعة من الجماعة ويمثلها الشرطي المتحكم فيها، كل هذه الأماكن هناك شخص يمارس سلطته وينظم فيها السلوك، فالفرد ليس حراً ولكنه (عند) أحد يتحكم فيه.

- المكان اللامتناهي: هو المكان الذي لا يخضع لسلطة أحد، ويكون بصفة عامة، خالياً من الناس، مثل الصحراء والبراري.¹

وهناك من قسم المكان إلى:

- أماكن مفتوحة: كالأمكنة الثقافية والأمكنة العامة والتي تعد أمكنة التنقل كالشوارع والحدائق.

- أماكن مغلقة: مثل البيوت والغرف.

- أماكن اختيارية مسلية: كالمقهى والملهى.²

وهذا ما نجده في كتاب محبوبة محمدى محمد آبادي جماليات المكان في قصص سعيد حورانية.

وخلاصة القول هو أن الأماكن متنوعة ومتعددة فكل ناقد وباحث صنفها على حسب رأيه فمن بين الأماكن نجد المكان الخارجي، والمكان الهندسي، والمكان كتجربة معاشة، وهناك من قسمها إلى أماكن مفتوحة، وأماكن مغلقة، وأماكن اختيارية مسلية... إلخ.

3- أهمية المكان فنياً:

فالمكان أحد العناصر الأساسية والمركزية التي تشكل العمل الأدبي باعتباره الركيزة المادية التي يستوي عليها النص، فهو ليس عنصراً زائداً في الأعمال السردية بل يقوم بدور

¹ - ينظر، محمد بوعزة، تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم)، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 1431 هـ، 2010م، ص:107.

² - ينظر، محبوبة محمدى محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،

(دط)، 2011م، ص:07.

المكان الأنواع والأهمية

رئيسي فيها، وهذا ما دفع "باشلار" بقوله بأن «العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته».¹ وكذلك نجد "حسن بحراوي" في كتابه بنية الشكل الروائي يقول والمكان «ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معانٍ عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»² فيعتبر المكان من العناصر الأساسية حيث لا تستطيع الرواية الاستغناء عنه.

فالمكان «يمكننا النظر إليه بوصفه شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون منظماً بنفس الدقة التي نظمت فيها العناصر الأخرى في الرواية بذلك فهو يؤثر في بعضها، ويقوي من نفوذها كما يعبر عن مقاصد المؤلف»³ فالمكان لا تتحرك فيه الشخصيات وتقع فيه الأحداث فقط بل هو يعتبر فضاء له الجمالية في بناء الرواية.

وفي إطار التأكيد على أهمية المكان أشار "جيرار جنيت" إلى الانطباع الذي كونه "مارسيل بروست" عن الأدب الروائي إذ يتمكن القارئ من ارتياد أماكن مجهولة متوهما بأنه قادر على أن يسكنها ويستقر فيها إذا شاء.⁴

وكذلك نجد "باشلار" الذي يؤكد على أهمية المكان من خلال مقولته «فالعامل الأدبي يفقد خصوصيته وأصالته إذا فقد المكانية»⁵.

بمعنى أن المكان سمة مركزية لا يستطيع العمل الأدبي التخلي عنها ومهمة رسم المكان تعود إلى الأديب فإن شاء تضخيمه ضخمة وإن شاء تصغيره صغره، ويعود أثر ذلك على القارئ «فكأن الذي يبقى من آثار قراءتنا لأي عمل أدبي يمثل غالباً في أمرين أولهما الخير»⁶. ولإيضاح ذلك «نضرب مثلاً من الحياة الواقعية، فعند مقابلة شخص لا

1 - غاستون باشلار: جماليات المكان ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدراسات بيروت، ط2، 1984م، ص: 5-6.

2 - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص: 33.

3 - نفسه، ص: 32.

4 - ينظر، حميد لحميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص: 65.

5 - غاستون باشلار، جماليات المكان، ص: 5-6.

6 - عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص: 155.

المكان الأنواع والأهمية

تعرفه وتريد ذلك، أول ما تسأله عليه بعد اسمه يكون ما مكان عيشه».¹ ومن خلال هذا هو أن للمكان أهمية كبرى حتى في الحياة العامة.

ما نستنتجه أخيرا هو أن المكان يعتبر جزءا مهما لنجاح العمل الأدبي فحين يخلو العمل الأدبي منها فقد يفقد خصوصيته وأصالته التي تعد من أساسيات العمل الأدبي، فالمكان يساهم بشكل أو بآخر في إعطاء نظرة شاملة عن الرواية.

¹ - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبيين)، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005م، ص:07.

الفصل الأول: الصحراء بين الماهية والخصائص

1- مفهوم الصحراء

2- خصائص الصحراء

أ/- الخصائص السكانية

ب/- الخصائص النباتية

ج/- الخصائص الحيوانية

د/- الخصائص المناخية

3- المعالم الصحراوية

4- الصحراء في الشعر الجاهلي

5- الصحراء في الأدب الحديث

أ/- في الشعر

ب/- في الرواية

6- الصحراء عند القدامى

7- الصحراء عند إتيان دينيه وفرومنتان

الفصل الأول: الصحراء بين الماهية والخصائص

لا يمكن للمكان أن ينفصل عن الأدب، باعتبار أن الذات الكاتبة لا تنفصل عن محيطها ولا تستطيع أن تموضع ذاتها إلا من خلال الفضاء الذي تعرفه وتتجلى فيه، ومن ذلك الصحراء، ذلك المكان الممتد في الفراغ والعراء والذي أصبح شكلا من أشكال الأدب، وقد اهتم الروائيون الجزائريون على اختلاف توجهاتهم بمتخيل الصحراء، ووظفوا جمالياته في أجساد نصوصهم وتمفصلات سرودهم، فالصحراء ليست رمالا قاحلة وفضاء فسيح، مقفرا خالي، من الحياة بل هي موطن من مواطن السحر والجمال، ولهذا نجد الصحراء قد فرضت نفسها وبقوة كبيرة على النص الروائي الجزائري.

1- مفهوم الصحراء:

عرف "ابن منظور" الصحراء بأنها «الأرض المستوية في لين وغلظ دون القف، وقيل: هي الفضاء الواسع».¹

أما في معجم الوسيط فالصحراء «أرض فضاء واسعة فقيرة الماء».²

ويضيف الإمام "محمد أبي بكر" فيرى في معجمه مختار الصحاح أن «الصحراء البرية غير مصروفة وإن لم تكن صفة للتأنيث ولزوم التأنيث تقول (صحراء) ولا تقل (صحراءة) فتدخل تأنيثا على تأنيث والجمع صحارى بفتح الراء والصحراوات وكذلك جمع كل فعل إذا لم تكن مؤنث أفعل مثل عذراء وخيراء وورقاء اسم رجل وبعض العرب يقول (الصحارى) بكسر الراء وهذه (صحار) كما تقول جوار، و(أصحر) الرجل خرج إلى الصحراء».³

1 - ابن منظور، لسان العرب مج4، دار الصادر، بيروت، ص:443.

2 - المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، ص:507.

3 - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1993م، ص:247.

الصحراء بين الماهية والخصائص

أما "بطرس البستاني" في معجم محيط المحيط فيرى أن الصحراء «الفضاء الواسع لا نبات فيه والصحراء عند العامة على بقعة من الأرض زرع فيها القيثاء البطيخ ونحوها وهم يقصرونها ويجمعونها على صحاري وبعضهم يقول الصحراء بالتاء»¹.

وقال "ابن شميل" «الصحراء من الأرض، مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا آكام ولا جبال، ملساء» وجمع الصحراء، فيما قال "ابن سيدة"، صحراوات وصحار، وفيها قال الجوهري، صحاري و صحراوات، وقد نقل "علي ابن أبي طالب" رضي الله عنه قوله: «فاصر لعدوك وامض على بصيرتك» وصحراء مؤنث الصفة، ويقال أصر، أي الذي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة.²

وعليه فالصحراء مكان قاحل تكون ظروف الطقس فيها معادية للحياة النباتية والحيوانية بسبب الحرارة المستمرة والجفاف الدائم، مما يؤدي إلى انعدام مظاهر الحياة فيها إلا في بعض الواحات التي يصارع الإنسان فيها الطبيعة من أجل البقاء مستخدماً كافة الوسائل المتاحة وما اهتدى إليه تفكيره الطويل من ابتكارات وفق العالم منبهاً منها، ولأجل خاصية الصحراء التي تعني اللاحياة فإن العامة في كلامها وأمثالها يشيرون بها إلى العدمية، في حين يتوافق البعض على أن الصحراء هي الفضاء الواسع.

2- خصائص الصحراء:

إن ضجيج المدن وحياتها الصاخبة تدفع الإنسان للهرب منها بحثاً عن الحياة أكثر هدوءاً وسكوناً فالصحراء هدوءها ولتلك الرمال المنبسطة سكونها ولهذه الجبال الشامخة عظمتها، ولصخورها وتعدد ألوانها العجيبة الزاهية من حمراء قانية إلى صفراء أرجوانية وسمراء داكنة وسماء زرقاء صافية ومن لمعه نجومها وضيائها ولياليها الساحرة ثم من جفاف هوائها وطلاقتها واتساع أراضيها وقراءها وسكينتها وهدوءها، كل هذه العوامل تجعل

¹ - بطري البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1997م، ص:508.

² - ينظر، إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)،

1983م، ص:13.

الإنسان يشعر بارتياح، لا يشعر بهما في حياة المدن وهذه الأريحية جرت معها وخصائصها.

أ- الخصائص السكانية للصحراء:

1- البدو:

أ- مفهوم البدو: بدا بدو وبدو وبدو وتبدي، فرج إلى البادية أقام في البادية فصار بدويا، تبادي، تشبه بأهل البادية.

والبدو سكان البادية من القبائل العربية الرحل وهم ينقسمون إلى عدة قبائل والنسبة إلى البدو، بدوي، بدوي والأنثى، بدوية جمعها بدوي، والبدو جمع باديات وباديات:الصحراء / خلاف الحضارة.¹

بدا القوم بدواً خرجوا إلى البادية، وتبدي الرجل أقام بالبادية وصار من أهلها، والبادية الصحراء وخلاف الحضر وجمعها باديات وباديات.²

البادية جمع بوادي أرض في الصحراء فيها المسكن والمرعى والماء.³

والبدو هم سكان البادية الرعاة الرحل الذين يسكنون الخيام ويعيشون على رعي الإبل والماشية وينتقلون من مكان لآخر طلباً للماء والكأ.⁴

والبدو مجموعات من العرب سكنت الصحارى واعتمدت على الترحال في حياتها ومما سبق نستنتج أن سكان الصحراء بدو والبدو هم مجموعة بشرية موطنها التقليدي الصحراء يحبون الترحال نظراً لعدم توفر المياه أو قلتها.

ب- عاداتهم وتقاليدهم:

يتشابه البدو بينهما، كانوا في العادات والتقاليد والأزياء، لأنهم جميعاً في حالة فطرية أولية واحدة، هدتهم إليها الحاجة وما اقتضته طبيعة البوادي والقفار القاسية المتشابهة في كل

1 - ينظر، مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ص:30-31.

2 - ينظر، مجموعة من المؤلفين، معجم محيط المحيط، باب الباء، (د ط)، (د ت)، ص:66.

3 - جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، ص:161.

4 - <https://arMm-wikipedia.org/wiki/17:01:09> على الساعة الثامنة يوم الأحد 2019/02/24.

الصحراء بين الماهية والخصائص

مكان، فهم متماثلون في تكوينهم الاجتماعي وفي أمور معيشتهم، ولا يختلفون إلا قليلاً من حيث العراقة في البداوة أو قلتها وقربهم من الحضارة أو بعدهم عنها وعن أهلها، أي من حيث كونهم من البدو الأصليين أو من البدو المتحضرين، وما ستذكره من القواعد والأصول والتقاليد والعادات يشملهم في الجملة.

***الزواج:** يتزوج البدوي بين 15 و 25 سنة وقل ما يتأخر إلى سن 30 سنة بل ربما سبق الزواج هذا الأجل والبدوي ينتخب خطيبته خلال الصدفة التي تبعثها حياة الحل والترحال، واختلاط الجنسين وتعارفهما منذ الصغر، والبنات البدويات يتزوجن في سن مبكرة جداً، قبل الحضاريات بكثير، لأن عيش البداوة وإقليم البادية ينميانهن بسرعة، وينضح استعدادهن في وقت وجيز، وحتى أنهما يعجلان بشيخوخة المرأة وهرمها، وعلى كل حال لا تستشار الفتاة البدوية في زواجها، ولا تسأل حين خطبتها، لأن الرأي لوليها يعطيها لمن يشاء ويبيعها بيع السلع لمن أراد ولمن يدفع له أكثر.¹

وعليه فالمجتمع البدوي يعتبر الزواج أحد الضروريات التي تبقى المجتمع متماسكاً، والمجتمع الصحراوي عامة يحرص على دوام هذه العلاقة.

***قرى الضيف:** قرى الضيف أمر قد اشتهر به البدو منذ القدم وتذكر الرواية أن حاتم الطائي كان يشعل نارا عظيمة أمام بيته، ليستهدي بها المسافرين والجائعون، ولا تزال آثار هذه العادة جارية في يومنا هذا لدى كثير منهم، وقد ذكر عن الأمير "مجم بن مهدي" رئيس الفدعان (الولد) أنه يأمر مؤذنه أن يصيح عقب أذان العشاء (العيش يا جوعان)، وتأخير الطعام إلى بعد العشاء يقصد به انتظار من قد يكون متخلفاً من الزوار والمسافرين.

والواقع أنه لولا عادة قرى الضيف وإكرامه لما طيقت البادية المحرومة من الفنادق والمطاعم ومن هنا صارت هذه العادة عندهم من الواجبات التي لا مناص لهم منها، والمسافر أو النزير يغدو معززا مصاناً منذ حلوله بيت مضيفه وإقراء الضيف من المكانة

¹ - ينظر، أحمد وصفي زكرياء، عشائر الشام، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1983م، ص:212.

الصحراء بين الماهية والخصائص

حتى أنه لو ذهب المسافر إلى بيت رجل فقير ليس لديه ما يقدمه للضيف على هذا الرجل أن يذهب إلى جيرانه من البدو ويطلب منهم ما يكفيه للقيام بواجب الضيافة وليس له أن يحيل ضيفه إلى بيوت الآخرين.¹

*الترحال: تتميز حياة البداوة بعدم الاستقرار وبالتنقل طلباً للماء والعيش وصيد الحيوان،² ففي فصل الصيف تتجمع القبيلة وتنزل «تقطن» حول آبارها التي تقع عادة في منخفض منبسّط وفسيح يسمونه جو يكون شكله عادة شبه دائري وتتراوح مساحة قطره من كيلو متر واحد إلى أربع كيلومترات.³

فالترحال هو انتقال حلة البدو من مكان إلى مكان آخر وقد منا أن البدو لا يستقرون في مكان ولا يطيلون الإقامة في أرض، فهم دائماً ينتقلون من أرض إلى أخرى، ومن منزل إلى منزل، يرتادون الكلاً ويفتشون على مراعي وموارد لإبلهم وغنمهم، ثم هم يرحلون من منازلهم لتراكم الأوساخ حول المحلات التي يقيمون فيها، فيتركونها ليتخلصوا منها ومن الروائح المنبعثة بسببها، وهم متى أرادوا الرحيل يجتمع كباراء العشيرة في بيت الشيخ فينشاؤون ولكل واحد منهم يذكر المكان الذي يراه مناسباً ليكون مرتعهم الجديد.⁴

الخصائص النباتية للصحراء:

ليست الصحراء قاحلة بالمرّة كما يتوهم البعض بل تنبت في واحاتها وأرضها الأشجار والنباتات العشبية والحشائش التي ترعاها البهيم السائمة وقطعان الرحل من البدو، فمن أشجارها.

1 - ينظر، أحمد وصفي زكرياء، عشائر الشام، ص:240.

2 - ينظر، أحمد محمد قاسم عتيق، محاضرات في مفهوم البداوة وخصائصها وغاية علم الاجتماع البدوي من دراستها.

3 - ينظر، سعد العبد الله الصويان، الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور قراءة انثربولوجية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2010، ص:589.

4 - ينظر، أحمد وصفي زكرياء، عشائر الشام، ص: 243.

- النخلة:

فهي الشجرة المباركة، وقيل أنها خلقت من فضله طينة آدم عليه السلام وأنها تشبه الإنسان في أمور كثيرة، فالأول استقامة قدها كاستقامة قد الآدمي والثاني تمييز ذكرها عن أنثاها، والثالث أنها لا تثمر في الغالب إلا بلباق الذكر.....إلخ.
 وأنواع النخيل كثيرة متباينة بالألوان والغلظ والرقة والطول والقصر والملموسة والتجعيد واتساع الأعلى أو الأسفل.....إلخ.

ومن أسمائها ما يأتي: الغرس، الدقلاوي (نصف ثمره دقلة ونصف ثمره الآخر غرس) ودقلة نور، وأخت دقلة نور والفرزاني وأخت فرزاني، ودقلة بيضاء وحمراية وخضراية ودقلة صفراء والتنسين وتكرمست حواء.....إلخ¹

فنخلة التمر هي أعظم شجرة منتجة للغذاء في المناطق الصحراوية حيث تسمى ثمارها (فاكهة الصحراء) وللنخلة أثر في حياة العرب فهي مصدر رئيسي من مصادر غذائهم وعيشهم فتمرها غذاء لهم، ورضيخها غذاء لحيواناتهم.

الخروب:

ويقال له الخرنوب وهو نوعان، الأول يسمى القريط والثاني يسمى النبطي والبطريون والأخير بحبس الإسهال ويثبت الأسنان وقشره يسقط التآليل.

التاي: ويقال أتاي وشاهي وجاي وجاهي وهي أنواع أبيض وهو أجودها وأخضر وأشهب وأسود وأصفر وأحمر، ولكنها تدخل تحت عموم الخشاف، كله يصفى الصوت، ويفتح السدد ويزيل اليرقان وعسر البول لكن الإكثار منه مضر.²

¹ - إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات ثالة الأبيار، الجزائر، (د ط)، 2007، ص:

74-75.

² - ينظر، نفسه، ص:71-72.

القرنفل: هو نوعان شجرة كالياسمين ونباتي كنوار عشية، فالأول نوره يعقد حبا في عساليج قصيرة، والثاني لا يعقد وهو الذي عندنا يتخذ للشم فقط. وهو مفرح ومهيج للباءة ومقوي للدماغ.

الخزما: ويقال لها خيلي، وخيري البرشمها يقوي الدماغ ويفتح سدده ويقط منه نوع من العطر يسمى خيليا.

الحشائش والنباتات: أما بخصوص الرعي أنواع كثيرة منها: البسباس يطيب رائحة الفم مضغا وأكله يطرد الرياح ويفتح السدد.¹

الحرمل: ينفع شربا وطلاء للمبرودين وعرق النسا ووجع الوركين والمغض والقولن.

الفيجل: ينفع كيفما استعمل لخروج الديدان والمقعدة والبواسير.²

الرتم: ينقي الديدان شربا بالعسل.

العرعار: ويقال له العرعر يشفي من السعال.³

الرند: ويقال له القار، ويستعمل لقطع السم والسعال شربا ويخفف القروح ذرا.

النعنع: ويقال له نعناع، ينفع الغثيان وأوجاع المعدة أكلا وينفع الحكمة طلاء وشربا.⁴

حبة حلاوة: هي نوع من الأنيسيون المقدم تفعل ما يفعله.

الخروع: دهنه يلين كل صلب.⁵

وفي الأخير هو أن النباتات الأرضية الصحراوية صغيرة الأوراق وذلك لجفاف الأرض غير أن نخلة التمر عرفها العرب منذ القدم وورد ذكرها في أشعارهم وكتبهم في القرآن.

1 - ينظر، إبراهيم محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، ص:59.

2 - ينظر، نفسه، ص:60.

3 - ينظر، نفسه، ص:62.

4 - ينظر، نفسه، ص:63.

5 - ينظر، نفسه ، ص:63.

ج- الخصائص الحيوانية للصحراء:

تتمثل حيوانات الصحراء في الثدييات، والحشرات، والعناكب، والزواحف، والطيور، وكان أهم حيوان عرفت به الصحراء حتى إنه لقب بها (سفينة الصحراء) ألا وهو الجمل فهو يستطيع السير أياما عديدة دون طعام وماء، وإذا طالت نوبة الجفاف جدا فإن الجمل يستهلك الشحم المخزن في سنامه، والجمل بطبيعته مهيبا للاحتفاظ بالرطوبة.

وتعتبر الزواحف - الأفاعي والعطايا - من حيوانات الصحاري المألوفة وجميعها من ذوات الدم البارد أي أن درجة حرارتها تتأثر بدرجة حرارة بيئتها.¹

ومن الحيوانات الصحراوية أيضا:

الغزال: هو الظبي الأبيض منه المائل للزرقة يسمى الريم، والرمادي القريب من السواد يسمى الغفرو الآدم....

الفنك: هو الأبيض من الثعالب وهي رمادية.²

أما من حشراتنا نجد:

الأفعى: والذكر أفعوان سمه قاتل.

العقرب: يستعمل في عرفنا للأنثى والذكر عقربان، وأما في اللغة فالعقرب تشمل الذكر والأنثى، ثم أن الأنثى يقال لها عقربة أو عقرباء وهي كثيرة بأرض الصحراء عامة.³ وما نستخلصه مما سبق أن الحيوانات الصحراوية متعددة ومتنوعة منها الحمار والغزال والفنك والغنم والإبل الذي يستطيع هو الأخير مقاومة العطش لعدة شهور كما يستطيع الجمل أن يتحمل ارتفاعا في درجة الحرارة، واعترافا في البدو بأهمية الإبل في حياتهم يسمونها النعم

1 - ينظر، الموقع الإلكتروني: www.sahara-online.net على الساعة 10:00 في يوم الأربعاء 2019/02/14.

2 - ينظر، إبراهيم محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص: 80.

3 - ينظر، نفسه، ص: 87.

أي النعمة. وقد ورد لفظ الإبل في القرآن الكريم في عدة مواضع وبألفاظ مختلفة في قوله تعالى: {وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ}.¹

وقوله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}.²

والناقة هي أنثى الجمل كما وردت ف قوله تعالى: {وَيَنْقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ}.³

ومن حشرات نجد العقرب والأفعى.

د- الخصائص المناخية للصحراء:

يتميز المناخ الصحراوي بالخصائص التالية

1- الارتفاع الشديد في درجة الحرارة صيفا مع انخفاض ملحوظ شتاءً لأن مدى الحرارة ما بين النهار والليل كبير سواء صيفاً أو شتاءً.

2- شبه جاف ينذر معه تساقط الأمطار إلى درجة لا يتجاوز فيها بضعة سنتيمترات، وفي غير انتظام، فقد يحدث أن يسقط المطر فجأة دون أن يدوم طويلاً.⁴

3- الرطوبة النسبية من الماء في شكل غاز، وهي نافعة كالنباتات، وهناك (غابات) تعيش على الرطوبة النسبية.⁵

3-المعالم الصحراوية:

الكثبان الرملية: فهي عبارة عن تجمعات لرواسب ذات أحجام مختلفة وقد تكون ذات مساحات ضخمة وتنتقل بواسطة الرياح، وغالبا ما يكون مصدرها من الصخور الرسوبية

1 - سورة الأنعام، الآية: 144.

2 - سورة العاشية، الآية: 07.

3 - سورة هود، الآية: 64.

4 - فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة أول نوفمبر 1954م، طبع في منشورات القصبية- الجزائر، (د ط)، ص: 27.

5 - نفسه، ص: 28.

المتفتتة أو من صخور نارية و متحولة نتيجة لعوامل التعرية والتجوية بالإضافة إلى عاملي الأمطار والرياح وأنواع الكثبان الرملية هي:

***كثبان رملية صحراوية:** هي الكثبان التي يكون مصدرها الرئيسي لها الجبال المحيطة بها كما أن عامل النقل هو الرياح وتتميز بأن لها حبيبات مختلفة الحجم (جيدة التدرج - سيئة الفرز)، فتعتبر الرياح من أهم العوامل المؤثرة في تشكيل سطح المناطق الصحراوية ويساعدها على ذلك الجفاف وقلة الغطاء النباتي التي لا تحد من سرعة الرياح.

***كثبان رملية شاطئية:** وهذا النوع من الكثبان الرملية يكون المصدر الرئيسي لها بعيد عنها وعامل النقل هو الماء كما أن حجم الحبيبات متساوي (سيئة التدرج - جيدة الفرز).¹

أشكالها:

- الكثبان الهلالية Barchan (crescent) dunes والكثبان المقوسة Pqrqbohc Dunes.
- الكثبان العرضية Cross .dunes
- الكثبان الطولية Logitudinal dunes
- الكثبان النجمية Star dunes.²

فمن فوائدها: أنها تستخدم الكثبان الرملية. في صناعة الزجاج، و خلط الرمل مع الطين ينتج تربة خصبة للزراعة وتعمل كخزانات للمياه الجوفية. ومن مخاطرها أنها تهجر الناس المكان، وتنتقل إلى مكان آخر، دمار المحاصيل الزراعية وزيادة التصحر، المشكلات الصحية التي تنجم عن استنشاق الهواء المحمل بالذرات العالقة.

القصور: فالصحراء الجزائرية فانتة بهندستها المعمارية التي تتسم بها القصور المترامية في مختلف المناطق كشاهد على حضارات عديدة مرت بها مثل قصور ورقلة وتندوف¹،

¹ - [geographie1.blog spot.com/2013/blog-post-6757.html](http://geographie1.blogspot.com/2013/blog-post-6757.html) على الساعة 15:30 زولا في يوم: 2019/06/12.

² - خديجة زياني وحنان حراث، التنمية السياحية الصحراوية في الجزائر قراءة في تجارب عربية ناجحة، مجلة الاقتصاد والمالية، مج4، العدد2، الجزائر، 2018، ص: 60.

الصحراء بين الماهية والخصائص

الآثار: والتي تشكل اللوحات الصخرية والنقوش العالمية لحضارات كثيرة وهي مصنفة ضمن التراث العالمي أما المواقع الأثرية الحضارية التاريخية السياحية فنجد.

- موقع الهقار: وهو سلسلة جبلية في أقصى الجنوب الشرقي (تمنراست) يغطي مساحة (450.000 كلم²) وهي تشكيلات جبلية بركانية ذات تاريخ ضارب في أعماق الزمن والجداريات الصخرية، بها أعلى قمة جبلية (تهات أتاكوره 3300 م).

- موقع الطاسيلي: يصنف من أروع المناطق من حيث طبيعته الجيولوجية يعود إلى 6000 سنة (ق م) تقع على بعد 200 كلم في محيط الهقار.

- جبل الاسكرام: والذي يقع على بعد 30 كلم من شمال تمنراست بعلو 3000 م ويتصل بوسط أتاكوره، الذي يجعل الساحل يشاهد أجمل شروق وغروب للشمس ويحوي أيضا ملجأ الأب (شارل ديفوكو) كمقصد للسياح الأجانب.

- وادي نيزار: يقع في ولاية غرداية شمال الصحراء الجزائرية يعود للقرن 10م وهو ذو قيمة جمالية تحيط بها خمس قصور بتصميم صحراوي وهو عبارة عن هضبة صخرية (حمادة) وقد قصمت هذه الهضبة إلى تلال بسبب عوامل التعرية مشكلة شعابا.²

4- توظيف الصحراء في الشعر الجاهلي:

كان الشعر الجاهلي، تاريخ سجل كل الأماكن والصور، فهو أصل الأدب العربي وجذره الذي منه نبت، فقد ارتبطت الصحراء بالشعر ارتباطا وثيقا منذ العصر الجاهلي، الذي تميز بيئته الصحراوية ولهذا كانت ملهما للشعراء ومختلف مكوناتها ومظاهرها من نبات وجماد وحيوان، فتسابقوا في وصفها والافتخار بها، وفيما يلي سنعرض نماذج من هذه المظاهر:

يقول امرؤ القيس:

جالت لِتَصْرَعَنِي فُقلتُ لَهَا أَقْصِرِي *** إني إمْرؤُ صرعي عليك حرام

¹ - خديجة زياني - حنان حراث، التنمية السياحية الصحراوية في الجزائر، ص: 60.

² - ينظر، نفسه، ص: 60.

فَجَزَيْتَ خَيْرَ جَزَاءٍ نَاقَةً وَاجِدُ *** وَرَجَعْتَ سَالِمَةً الْقَرَا بِسَلَامٍ

وَكَأَنَّمَا بَدْرٌ وَصِيلٌ كَتِيفَةٌ *** وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامٌ¹

فتعتبر الجبال من أهم مكوناتها وهذا لعلوها ولشموخها وهذا ما دفع بإمرؤ القيس أن يا يتغنى بها وقدرته على عبورها بفضل ناقته فهو الأقوى يستطيع تحدي أي صعوبة في طريقه.

وقول زهير بن أبي سلمى:

فَزَلَّ عَنْهَا وَأَوْفَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ *** كَمَنْصَبِ الْعِترِ دَمَى رَأْسَهُ النَّسْكَ²

قمم الجبال تستقبل الطيور الجارحة التي تتخذها مكانا لمراقبة الفريسة لكي تصطادها للأكل أو لغذائها.

وكذلك نجد تأبط شرا يفخر بنفسه حيث أنه يفوز على أصحابه في التسابق إلى قمة الجبل ويصل إليها الشروق. وكذلك نجد علقم الذي يرى أن البقر الشبوب سبقت نبال الصيادين وكلابهم بعد وقد استتروا بشجر الأرتى ليرموها وخص الشبوب لطول تجربتها وشدة حذرهما.

يقول مصوراً ذلك بقوله:

تَعْفَقُ بِالْأَرطَى لَهَا وَأَرَادَهَا *** رَجَالٌ فَبَدَّتْ نَبْلَهُمْ وَكَلِيب³

ويقول إمرؤ الذي يصف حصانه بالخفة والصلابة والسرعة والقوة⁴.

وقد اغتدي والطيير في وكناتها *** بمنجرد قيد الأوابد هيكل

¹ - امرؤ القيس، الديوان، دار المعارف (ج.م.ع)، (دط)، (دت)، ص:117.

² - زهير بن أبي سلمى، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1911م، ص:11.

³ - محمد صديق حسن عبد الوهاب، رسالة في الأدب والنقد، رسالة دكتوراه جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2007-

2008، ص: 145.

⁴ - امرؤ القيس، الديوان، ص: 20.

مكر مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً *** كجمود صخرٍ حطه السيلُ من عُلِّ

كميتٍ يزلُّ اللبد عن حال متته *** كما زلت الصفواء بالمتنزل¹

وأما علقمة الفحل فوصفه لفرسه يختلف عن الآخرين فوصف عراقه أصله وصور العلاقة الحميمية التي تربطه به، ثم يبرز صفاته المعنوية والجسدية في حديث يدل على شدة إعجابه به وعلاقته التي تربطه بفرسه هي علاقة الحبيب والصاحب الوفي ونجد ذلك من خلال الصورة التي ينقلها الشاعر إلى وفاء حصانه وتلك مستمدة من عشق الصحراء وحاجة الرفيق فيها يقول:

أخا ثقة لا يلعنُ الحي شخصه *** صبوراً على العلات غير مسببٍ

إذا انفذوا زاداً فإن عنانه *** وأكرعه مستعملاً خير مكسب²

5- الصحراء في الأدب الحديث:

أ- **في الشعر:** من الأشياء المتميزة في الشعر العربي الحديث في بنية نصه الشعري تعدد الأمكنة الشريفة وانفتاح الشاعر على أمكنة قريبة أو بعيدة، ولد فيها أو عاش بها أوزارها أو حتى سمع بها، وأصبح المكان لمن يبدعه لا لمن يقيم فيه ويملكه، ومن بين الأماكن التي أبدعوا في وصفها واهتموا بها نجد الصحراء فمن بين الشعراء نجد الشاعر الأخضر السائحي يصف الصحراء الجزائرية حيث أنها مظهرها من مظاهر الجمال الكوني الرائع كل شيء فيها جميل في عيونه فهي الجمال البديع والسحر والصفاء فيقول:

لست أدري أنت أرض دحاك الله أم أنت يا رمال سماء؟.

الجمال البديع والسحر والروعة والطهر والسنا والصفاء؟.

وهي في الليل كالتنهار جمال *** راح يغري صباحها والمساء

¹ - نفسه، ص: 20.

² - محمد صديق حسن عبد الوهاب، رسالة في الأدب والنقد، ص: 145.

فكأن السكون فيها حراك *** وَكَأَن السُّكُونُ فِيهَا غِنَاءٌ
لتود النفوس لو تحتويها *** وهي أفق لا ينتهي وفضاء
ليس فيها مثل العباد نفاق *** وليس فيها مثل العباد رياء¹

فالصحراء على رحابها سماء أرضية، تختصر الجمال والبهاء في الليل والنهار لا نفاق فيها ولا رياء، وبذلك فهي الملاذ الذي يلجأ إليه الشاعر من عالم البشر المليء بكل المتناقضات، وتصبح الصحراء هي الأنيس البديل فالمكان يعوض الإنسان ويجعله يستمر أكثر.²

ولا يختلف الشاعر مفدي زكرياء عن الشاعر الأخضر السائحي في وصفه للصحراء واصف إياها من الخارج دون التفاعل معها أو مشاركة وجدانية هذا ما يبرر الرؤية الباردة بعض الشيء صوب مكان دافئ مثل الصحراء.

وفي صحراءنا جنات عدن *** بها تتساب ثروتنا إنسيابا
وفي صحراءنا الكبرى كنوز *** نطاردها عن مواقعها الغراب
وفي صحرائنا، تير وتمر *** كلاً الذهبين: راق بها وطابا
وفي صحراءنا، شعر، وسحر *** كلاً الملكين: حط بها الركابا
وفي صحرائنا، آداب وعلم *** ركابهما المثقف، واستطابا
وفي واحاتنا، ضل ظليل *** تفور به نواعيرنا حباناً
وفوق سمائها قمر منير *** نطارحه الأحاديث العذابا
وتحت خيامها أنحست عيون *** لها (هاروت) قد سجدا احتسابا
وتحت خيامها أنحبت عيون *** أسالت من فم الدنيا، لعباً
عشقنا عند أسمرها، وسمرآ *** فنون السحر، والتبر المذابا³

¹ - محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005-2006، ص: 43.

² - ينظر، نفسه، ص: 44.

³ - سارة حسين جابري، أعذب قصائد مفدي زكرياء، إصدارات العوادي، عين البيضاء، (د ط)، 2014م، ص: 36-37.

وخلاصة القول هو أن شعراء العصر الحديث نجدهم قد تأثروا بالصحراء وبطبيعتها الساحرة وجمالها فقد تغنوا بها وبجماليتها لكونها باب الهدوء والسكينة والراحة والطمأنينة.

ب/- توظيف الصحراء في الرواية:

تعد الرواية إحدى أهم الأشكال السردية الكبرى التي تشكل المدونة العربية الحديثة والمعاصرة والمتتبع لمسار تطورها منذ النشأة إلى اليوم يرى تضاربا بين آراء فريقين من النقاد، بين فريق يرجع أصولها إلى التراث الحكائي العربي وبين فريق آخر يردّها إلى الغرب ويعتبر العرب مجرد مستوردين لها.¹

ولم تعرف بواكير التأليف الثقافي العربي أعمالا روائية أو شبه روائية جرت أحداثها في الصحراء، ورغم هذا فقد تسللت الصحراء إلى تلك الأعمال بأشكال مختلفة ومن الروايات التي كان موضوعها الصحراء ما جاء به عبد الحميد بن هدوقة في روايته «ريح الجنوب» و«نهاية الأمس» في الريف الجزائري في مناطق شبه صحراوية وقد حملت كل من الروايتين إشارات قليلة إلى الصحراء، فقد ركزت «رواية ريح الجنوب» على الرياح الصحراوية التي تهب على القرية حيث تسبب خسائر فادحة فهي تتسبب في تلف المحاصيل الزراعية فتحولها إلى صحراء حقيقية خاصة مع شح السماء وانقطاع المطر، يقول الكاتب «أصبحت القرية كئيبة حزينة تغطي سماءها زوابع الغبار وتتصارع في جنباتها رياح هوجاء فإذا هي شهباء لهباء يشعر فيها الحر استعاراً، وأصبحت الوجوه يجللها الغبار، فإذا هي تبدو دكناء قانطة، وأصبح الذين يملكون شيء حيارى مما حل بفلاحتهم من خسائر، والذين لا يملكون شيء صرعى من أزيز القبلي».²

وهناك العديد من الروائيين الجزائريين المعاصرين تناولوا موضوع الصحراء في إبداعاتهم الروائية فقد كتب رشيد بجودة رواية «تيميمون» وهي منطقة في الصحراء، كما كتب لخضر بن السايح «صحراء الضما» تتحدث الرواية عن رحلة في الصحراء مليئة بالمغامرات

¹ - ينظر، طانية حطاب، إبراهيم الكوني ومشروعه السردى من طوق الصحراء إل إشعاع العالمية مجلة رؤى فكرية، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة سوق أهراس، العدد الرابع أوت 2016، ص:117.

² - عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1976م، ص:190.

الصحراء بين الماهية والخصائص

الشيقة فالصحراء تتميز بمساحتها الشاسعة ودرجة حرارتها العالية، كما صورت لنا الرواية قساوة وصعوبة العيش في الصحراء، فالشخصيات التي زارت الصحراء عانت من شدة الحرارة كما عانت من مشاق السفر، كما كتب أيضا الحبيب السايح "تلك المحبة" و"تماسخت" وفي السياق نفسه تشير إلى بعض الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وقد ترجمت إلى اللغة العربية مثل رواية "سأهبك غزالة" للروائي الجزائري "مالك حداد" وهي تحمل جزءا كبيرا من حنين الكاتب إلى بلده، إلى صحرائه الطاسيلي ورمالها وقبائل الطوارق التي تسكنها، وتتحول الصحراء في هذا السياق إلى ثروة روحية تفوق قيمتها كل ثروة مادية.

تتناص الرواية الجزائرية مع بيئة الصحراء لتوطن مكانها في الأدب بشكل سحري، من شأنه إثراء النص الأدبي الجزائري لتتشكل من خلاله الصحراء كرافد للتوظيف الجمالي، الذي يعزف على أوتار العاطفة والأصالة المتجذرة في الجزائري باعتبار التاريخ المليئ بالفحولة، التاريخ الشامخ بدعوة... وقرى للضيف، ومكارم الأخلاق.... من هذا النبع الصافي الذي تخلد صورة وشاهد أصلا في المخيال جعل من الروائي مالك حداد ينمق نصه الإبداعي به ديباجة ورمزا وصورا متنوعة في تأكيد قيم السماحة والقوة ومكانة العربي وأنفسه وعزته من جهة، والتعريف بصحراء الوطن الحبيب بتصورها وتمثيلها وترسيخ مكانة الجنوب الكبير من جهة أخرى.¹

فتوظيف الصحراء نجده من خلال العنوان "سأهبك غزالة" فنجد لفظة غزالة هنا هي حيوان صحراوي فهي علامة للصحراء ورمزا للجمال والرشاقة والحركية والسرعة، أما أصحاب فن الرسم والتصوير فقد استعملها لطي الصحراء برملمها وكثبانها وواحتها في لوحة لغزالة ترعى بحبور في واحة غناء، ومن صور حضور "الغزالة" كرمز للحرية على أساس أنها كائن حي جميل خلق للنشاط والحيوية وتعمير الأرض جمالا ورونقا ينثر السحر والجمال في كل مكان وبخاصة الصحراء.²

وكذلك حوار خلود ناعم ومولاي الذي دار الحديث بينما عن الحيوان الصحراوي.

1 - مجموعة من المؤلفين، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد 10، 2014م، ص: 241.

2 - مجموعة من المؤلفين، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد 10، 2014م، ص: 241.

خلود ناعم: أه سي مولاي في المرة القادمة حينما تعود، أود أن تأتيني بغزالة، غزالة حية ليس الغزلان غزلانا إلا وهي على قيد الحياة....

قال مولاي:

- سأهديك غزالة

- فغدت عبر هذا النص تسلسل الأحداث والأفعال تباعا لتحرك النص بمكانه وشخصياته وتدير الزمن.... لتصبح مشاهد الشعرية على البساط الذهبي وتضع عبرها الفرجة واللذة التي إليها يرنو المتلقي تذوقا فكلما تتأزم المواقف تنبعث الغزالة لتحول الحدث وتنقل القارئ من مكان إلى مكان، الأول حقيقي غارق في الأثالة بمستلزماتها من واحات ورمال وكثبان.... والثاني مكان اصطناعي غارق في الحضارة والمدينة.¹

وقد كتب إبراهيم الكوني الكاتب الليبي العديد من الروايات التي عالج فيها موضوع الصحراء ولعل أهمها التبر نزيه الحجر، عشب الليل، البئر، من أساطير الصحراء.... إلخ. حيث يعد إبراهيم الكوني من ألمع الروائيين العرب المعاصرين الذين حفروا أسمائهم في ذاكرة المتلقي ووجدانه، فحينها يذكر اسم الكوني وتستحضر الصحراء التي انطلق منها ويستحضر أهلها الذين شكلوا شخصيات رواياته المتابعة.

يصور لنا الكوني الصحراء ومجتمع الطوارق في جو سردي تخيلي ملء بالأساطير وهي، أساطير تموض ثم تتطفئ، لكنها تنبض بالحيوية والتألق، ومحورها العلاقة المتلبسة بين الإنسان والإنسان أو بين الإنسان المتوحد والحيوان، لو رتبنا هذه الأساطير على وفق أنساق محددة، لسلكنا مجموعها ما يمكن الاصطلاح عليه ب "ميثولوجيا الطوارق".²

إن جل روايات الكوني تتمسرح أحداثها في الصحراء المعزولة في أقصى الجنوب الليبي، وفضاء لا متناهي من الرمال الجارفة والصخور الوحشية وأشجار الشوك والشمس

1 - نفسه، ص: 244.

2 - ينظر، طانية خطاب، إبراهيم الكوني ومشروعه السردي، من طوق الصحراء إلى إشعاع العالمية، ص: 124.

الصحراء بين الماهية والخصائص

الجهنمية، إنها صحراء قبيلة الطوارق التي ينتمي إليها الكاتب بالمولد والنشأة والتربية، وبكل عناصرها الطبيعية والإنسانية والأسطورية بكل معتقداتها وتصوراتها وقيمتها.¹

وعليه فقد كتب العديد من الروائيين العرب في موضوع الصحراء وإذا كانت الصحراء القاحلة قاسية بطبيعتها وطقوسها، فقيرة بإنتاجها إذ لا شجر ولا ثمر فيها، فهي غنية بقيمتها، وبعالمها وبفضائها الواسع، بطهرها الذي يسمو على الدنس المادي ويبعد عنه، فالصحراء على بساطتها وبدائيتها وخلقتها الأولى وبدائية مجتمعا تحمل الكثير من الرموز والقدسية للإنسان، لقيمة، للأصالة، للصدق، للوفاء، للمروءة....

أي أنها تتمسك بإنسانية الإنسان، وبأقصى ما تطمح وتدعو إليه قوانين الإنسانية المتحضرة في عصرنا.

فالإنسان الصحراوي يبقى متمسكا بعرقه وتقاليد، وعلاقته بصحرائه من واحة ورحلة وقطيع ماشية وجمال.... إلخ.

6- الصحراء عند القدامى:

1/- عند قداماء الغرب: تحدث الرحالة القداماء من الغربيين عن الجماعات البشرية التي كانت تسكن الصحراء والتي حاولت الاحتفاظ بحضارة مختلفة لها ميزتها الخاصة، وترجع أصولها إلى عصور عابرة تلك هي جماعة "الطوارق" وهم شعب البربر الذي يقطن الجزء الغربي من الصحراء الكبرى وجماعات قبائل (المور، النوميدي، الجرمنت والجدالة، والجيتول) كما تناولوا في رحلاتهم الحديث عن حيوانات الصحراء وتربية الماشية (الجمال، الأسد الأطلسي، الحصان البربري، الغنم، الماعز) ظلت الصحراء الكبرى طيلة قرون عديدة مجهولة لدى الرحالة الغربيين القداماء ولم يقدم عنها هؤلاء الرحالة الإغريق والرومان والقرطاجيين إلا معلومات ضئيلة ومحدودة، ارتحل إلى الصحراء الإفريقية الكبرى ("غونيس")

¹ - ينظر، حماني حليلة، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني "تزييف الحجر والتبر وعشب الليل أنموذجا"، الإنسان والمجال، مجلة دولية علمية محكمة، المركز الجامعي نور البشير بالبيض، العدد 05، أبريل 2017، ص: 261.

الصحراء بين الماهية والخصائص ←

في ملحمة "هوميروس". ورحل هيرودت إلى خواص الصحراء الليبية، وحدث أفلاطون عن (قارة أطلانتيك الغارقة في الصحراء) وخصها (حنون القرطاجي) برحلة في صحراء إفريقيا.¹

2/- الصحراء الكبرى عند اليونان:

كانت الصحراء الكبرى عالم مجهول بالنسبة للأوروبيين قرونا طويلة ولم يكتسب "هوميروس" و"سيلاكس" و"بروماتوسا" و"أفلاطون" و"هيرودوت" إلا معلوما جد محدودة عنها. لكن هيرودوت قدم عن الصحراء الكبرى لأول مرة معلومات لا بأس بها للأوروبيين بعد أن قام برحلة برقة ودواخل ليبيا في القرن الخامس قبل الميلاد فضنوا أنها كانت قبل نصف مليون سنة أقل جفاف وانعداماً للماء بدليل أن قبائل «الجرمنت» التي ينحدر منها (توبوس) في (تبيستي) مارست حروبا بالعربات التي تجرها الخيول صد الأحباش وهذا ما أكده الباحث الأثري «هنري نوت» المتخصص في دراسة ما قبل التاريخ للصحراء.²

3/- الصحراء الكبرى في رحلات القرطاجيين:

وفي العهد القرطاجي حاول الرحالة «حنون القرطاجي» ربط الصلات التجارية بين شمال القارة ووسطها بواسطة مجرى درعة ونهر السنيغال بعد أن قام برحلة إلى محيط الأطلسي عبر مضيق هرقل (جبل طارق) وراجت في قرطاجة بضائع الصحراء التي كانت تحملها القوافل من النيجر إلى أدرار إلى طرابلس وبلاد «الجرمنت» مثل الذهب والجلود وريش النعام، التي تباع بالأقمشة والحلي والأحجار الكريمة.³

7/- الصحراء عند إتيان دينيه وفرومنتان:

* عند إتيان دينيه: ولد إتيان دينيه بباريس عام 1861 م من أب مسيحي كان يعمل رئيساً لإحدى المحاكم بمنطقة السين بفرنسا درس المرحلة الثانوية بثانوية هنري الرابع في باريس عام 1871 م نال بعدها شهادة البكالوريا، وكان خلالها يمتلك موهبة في الرسم نال أول جائزة في مسابقة الرسم عام 1879 وخلال عام 1880 م عمل في الخدمة الوطنية في

1- حفاوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وضلال اللوحات وفي الكتابة الغربية، (دط)، (دت)، الجزائر، ص: 13.

2- ينظر، حفاوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وضلال اللوحات وفي الكتابة الغربية، ص: 14-15.

3- نفسه، ص: 16.

الصراع بين الماهية والخصائص

فرنسا، وبعد أن أنهى الخدمة العسكرية التحق بمدرسة الفنون الجميلة في باريس عام 1881م وفي عام 1882م سجل في أكاديمية جوليان، وفي العام نفسه عرض أعماله في صالون الفنانين الفرنسيين، أما عام 1883م فكان بداية المجد والشهرة له إذ نال ميدالية الرتبة الثالثة عن إحدى لوحاته التي تمثل منطقة سموا في فرنسا.

لم يكن يعلم دينيه أن عام 1884م هو بداية طريق الهداية والنور بعد الظلام وفي هذا العام سافر إلى الجزائر أول مرة مع فرقة من علماء من منطقة بوسعادة، ولما أحس بالراحة النفسية والطمأنينة كرر الزيارة عام 1885م، ولكن هذه المرة كانت لمنطقتي الأغواط والجنوب الجزائري، تكررت بعدها سفراته إلى الجزائر لدرجة أنه كان يقضي ستة أشهر كل عام في الجزائر عاد بعدها إلى فرنسا يمارس هواية الرسم والتلوين باحترافية عالية، وهذا الأمر جعل فرنسا أول مرة تفتني إحدى لوحاته، وكان ذلك عام 1886م وأسس بعد هذا التميز والنجاح رابطة الرسامين المستشرقين الفرنسيين عام 1887م ثم سافر إلى الجزائر ليزور منطقتي الأغواط وبسكرة ثم يستقر في بوسعادة التي وجد فيها راحته واطمأننيته فصور طبيعتها التي سحرته، وبيوتها وأزقتها، وناسها ببساطة عيشهم، وحبهم للآخرين، لدرجة أنه أفهم، واقتفى أثرهم، وتعلم لغتهم حتى أصبح بوسعاديا لا تفرق بينه وبين سكان أهلها الأصليين، يلبس لباسهم، ويأكل طعامهم، ويتطبع بطباعهم وعاداتهم وأخلاقهم التي وجد فيها ضالته، فأسلم بعد أن كان في صراع داخلي¹ مع نفسه ومع ألوهيته المسيح، وكان ذلك عام 1913م، إذ نطق دينه بالشهادتين بحضور مفتي الجزائر وهكذا أصبح "دينيه" الفرنسي "ناصر الدين دينيه" وهو الاسم الذي فضله بعد دخوله الإسلام، مسلما يقرأ القرآن ويصلي بل يحج إلى بيت الله الحرام، ولم يكن اعتناقه للإسلام نتيجة تجربة أو تأثر بسيط بل كان - كما يذكر - نتيجة بحث ودراسة تاريخية معمقة لجميع الديانات، ويصف دينيه كيف تعرّف الإسلام قائلا «عرفت الإسلام فأحسست بانجذاب نحوه، وميل إليه، فدرسته في كتاب الله، فوجدته هداية لعموم البشر، ووجدت فيه ما يكفل خير الإنسان روحيا

¹ - ينظر، <https://www.alfaisalmag.com> على الساعة 09:30 صباحا في يوم: 2019/04/19.

وماديا، فاعتقدت أنه أقوم الأديان لعبادة الله، واتخذته ديناً، وأعلنت ذلك رسمياً على رؤوس الملائكة» وهذا الأمر جعل الغرب يصفونه بالخيانة، حتى أن كاتبهم "ج. دينيه رولانس" بعد أن أعترف بفته قال «إن مواهبه كفنان نادرة وأما بخصوص اعتناقه الدين الإسلامي فهذا لا يمكن لعقليتنا الغربية العريضة والدينية أن تقبله»¹

وخلال القرن التاسع عشر عاش في الجزائر كثير من الفنانين المستشرقين، الذين أعجبوا بها وبثرائها البيئي والثقافي والتراثي أمثال: زعيم الحركة الرومانتكية "دولاكرو" الذي بهرته الجزائر بناسها وطبيعتها، وتعد لوحته (نساء من الجزائر) من أشهر أعماله - إضافة إلى "ناصر الدين دينيه" الذي عشق بوسعادة أو (مدينة السعادة) كما يدل عليها اسمها: فهي محطة سياحية أسطورية وأقرب واحة إلى الساحل الجزائري، لذا تسمى أيضا (بوابة الصحراء) هذه المدينة الحاملة تبعد عن العاصمة الجزائر مسافة 260 كلم تقريبا وتشتهر بأسواقها الشعبية التي تملؤها الحرف التقليدية المتميزة مثل صناعة الحلبي الفضية، والزرابي ذات الخطوط الهندسية والنباتية والملابس المطرزة بالزخارف الشعبية أما متحف "ناصر الدين دينيه"، والممرات، والقلاع، ومسجد زاوية الهامل، إضافة إلى طاحونة (فيريرو) الشهيرة، فكلها كعالم يحرص على زيارتها السائح الآتي من كل مكان ليستمتع بمناظر النخيل والجبال ودعة الشمس كما أن التجوال في واحاتها، وحدائقها وتحت أقواسها التقليدية متعة حقيقية.²

ويعد دينيه واحد من الذين وقعوا في حب هذه المدينة السعيدة الساحرة، إذ عاش فيها أكثر سنوات عمره واهتدى فيها قلبه إلى الإسلام، وبنى فيها بيته الذي أصبح متحفا لأعماله بعد وفاته، لتكون موطنه الأبدي بعد أن خصها بأكثر من 139 لوحة تشكيلية تصور جمالها وبيوتها وناسها، حتى أصبحت بوسعادة ملهمة الفنان "دينه" فأثرت في تشكل فنه وتقنياته وأدواته، فأبدع وفي ذلك ذكرت موسوعة ويكيبيديا: «دينه مثل البوسعاديين ينتظر قمر

1 - ينظر، <https://www.alfaisalmag.com> على الساعة 09:30 صباحا في يوم: 2019/04/19.

2 - ينظر، <https://www.alfaisalmag.com> على الساعة 09:30 صباحا في يوم: 2019/04/19.

رمضان مشدودا إلى السماء بعد أن كان مشدودا إلى الأرض في بوسعادة أسلم وفيها قضى حياة فنية عامرة بالعطاء وفيها اليوم ضريحه، وبقية من روحه العطرة، وتراث ثري من الإبداع الذي استلهمه ناصر الدين دينيه من بوسعادة وحياة ناسها البسطاء الطيبين ومن نسائها الجميلات وطبيعتها الساحرة، ومن نخيلها الباسق ومن تمرها الحلو، وهي التي سكنت قلبه، فسكن أرضها إلى الأبد»¹.

* **عند بوجين فرومنتان:** ولد "بوجين فرومنتان" في لاروشيل 24 أكتوبر 1820م وتوفي في سان موريس 27 أغسطس عام 1876م نشأ في عائلة بوجوازية تعتنى بالثقافة مما أتاح له صقل موهبته الفنية ومعالجة أعمال كبار الفنانين والأدباء الفرنسيين تميز فرومنتان بنظرة جمالية جمعت بين الرومانسية والذكر الواقعي كان جذابا «مفلاط الحساسة» شديد التأثير والانفعال وقد وصفته الكاتبة الفرنسية الشهيرة "جورج صاند" المعاصرة له بقولها «إن تكوينه غاية في الرقة».

زار "فرومنتان" بلاد شمال إفريقيا، واستطاع أن يطبع في ذاكرته مشاهدته فيها، ومناظرها الطبيعية ناهيك عن شعوبها ومبانيها.... إلخ ومن ثم عالج ما وعته ذاكره من مشاهد في لوحات فنية خلدت اسمه في مجال الفن كانت زيارته الأولى إلى الجزائر تلبية لدعوة الفنان "لابيه" زار الجزائر سرا وعمره لا يتجاوز 26 سنة حيث ماتت أسرة "لابيه" مستقرة بمدينة "البليدة" وكانت عائلة "فرومنتان" تعارض اتجاهه للفن، فسافر دون علمهم، واستمرت الرحلة لمدة شهر، أثمر حصيلة إبداعية هائلة وأولع في هذه الزيارة بالصحراء التي عدها أروع مشاهدته على الإطلاق، فرسم عدة لوحات عن الصحراء والطبيعة في الجزائر، وعرض سبعة منها في باريس عام 1857م، فنال تقدير الرأي العام ومع استمرار ريشته في رسم اللوحات المعبرة عن الطبيعة في بلاد الشرق نال لقب (ملك الصالون) وحصل على ميدالية الدرجة الأولى في الفنون، فرجع إلى الجزائر مرة ثانية وأقام فيها قرابة سنة كاملة 1847-1848 وفي 1852 قام بزيارة ثالثة إلى الجزائر مصاحبة بعثة تنقيب عن الآثار

¹ - ينظر، نفسه.

الصحراء بين الماهية والخصائص

حيث يقول هنا مثلا «إن العرب هم الشعب الوحيد الذي استطاع الاحتفاظ بكبريائه لأنه عرف كيف يبقى بسيطا في حياته وتقاليده وأسفاره وسط الشعوب الأخرى المتمدنة» وفي إحدى زيارته إلى الجزائر ترك زوجته في مدينة (بلدية) ورحل إلى واحة (الأغواط) في الجنوب وهي من أهم الواحات الواقعة على مشارف الصحراء الكبرى، فعاش فيها فترة ليست بالقصيرة وطبع في ذاكرته مشاهدتها»¹.

ولقد كان فرومنتان مولعا بالطبيعة الصحراوية ولم يكتف يرسم اللوحات المعبرة عن هذا الولوج، بل عبر عنه بالكتابة أيضا عندما نشر كتابين حول هذا الأمر الأول بعنوان (صيف في الصحراء) والآخر بعنوان (عام في منطقة السحال) فنال عليها وسام الشرف كان فرومنتان يرسم تخطيطا بقلم (الرصاص/الفحم) وبناء على هذا الأسلوب، ترك "فرمنتان" مجموعة كبيرة من هذه التخطيطات، كان ينوي إنجازها ولكن الموت عام 1876 اختطفه قبل أن ينفذها في لوحته الثانية (في واحة الأغواط) أصبحت (النخلة/الأمل) واحة من (النخيل/الآمال) أو غابة نخيل كثيفة باسقة، توحى بانتشار واتساع أمل الفنان في الحياة أو الدنيا بأسرها وما هؤلاء الأشخاص سوى نموذج من البشر يعيشون وسط (الآمال/النخيل) نستخلص من هذه اللوحة مدى تفاؤل الفنان في هذه الفترة من حياته ومدى ارتباطه بطبيعة الشرق الخلافة أما لوحة (عرب يؤدون الصلاة) عام 1867م المحفوظة في متحف الفنون التاريخ بجنيف، فتعد أصدق لوحات فرومنتان المعبرة عن الإسلام في الجزائر، بما فيها من خشوع وورع واضحين على المصلين متنوعي العبادة والحركات، حيث نجد أحدهم في حالة ركوع والآخر في سجود، والثالث يكبر والرابع يسلم وهذه العبادات تؤدي في الصحراء التي جلبت عقل الفنان بطبيعتها والطبيعة والصحراء لم تكن مسالمة دائما في نظر الفنان فلها أيضا قسوتها وغدرها، وأبلغ قسوة مستشفة من الصحراء تظهر في قلة الماء وندرته وشحه

¹ - ينظر، الموقع الإلكتروني: <http://m.facebook.com/photo.11:45> في يوم 2019/05/04.

وهو ما عبر عنه فرومنتان في لوحته (بلاد العطش) عام 1869م، المحفوظة في المتاحف الملكية للفنون الجميلة ببلجيكا.¹

¹ - ينظر، الموقع الإلكتروني: <http://m.facebook.com/photo.11:45> في يوم 2019/05/04.

الفصل الثاني: صورة الصحراء في الرواية

مكونات عالم الصحراء في الرواية

1- عالم الكائنات الصحراوية

أ- عالم الإنسان

ب- عالم النبات

ج- عالم الحيوان

2- المكونات الطبيعية لعالم الصحراء

3- المكونات الرمزية لعالم الصحراء

الفصل الثاني: صورة الصحراء في الرواية

مكونات عالم الصحراء:

1- عالم الكائنات الصحراوية:

أ/- عالم الإنسان: يعتبر الإنسان محور النص الروائي والمحرك الأساسي للأحداث، والشخصية تعد من بين أهم مقومات العمل الروائي إذ تشكل بناءه وتحكم نسيجه، وعليه فلا يخلو أي عمل روائي من الشخصيات فهي العمود الفقري لهذا الإبداع الأدبي.

ومن بين الشخصيات التي برزت في رواية "فجر الغيطان" نجد:

*الشخصية في بعدها البدوي:

*صالح: هو البطل الرئيسي للرواية، أو نقول الشخصية الرئيسية فالشخصية الرئيسية هي: «الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثل ما أرادته تصويره أو ما أرادته التعبير عنه من أفكار وأحاسيس وتتمتع الشخصية الفنية المحكم بناءها بالاستقلالية في الرأي والحرية في الحركة داخل مجال النص القصصي وتكون هذه الشخصية قوية ذات فاعلية كلما منحها القاص الحرية وجعلها تتحرك وتنمو وفق قدراتها وإرادتها بينما يختفي هو بعيد يراقب صراعها وانتصارها أو إخفاقها وسط المحيط الاجتماعي أو السياسي الذي رمى بها فيه وأبرز وظيفة تقوم بها هذه الشخصية معنى الحدث القصصي فهي صعبة البناء وطريقها محفوف بالمخاطر»¹.

فالشخصية الرئيسية هي الصانعة للحدث والموقف وهي العنصر الفعال في الرواية والمحرك الأساسي للأحداث في العمل الروائي فصالح هنا هو الشخص المحرك للأحداث، فصالح متشبع بالمبادئ والأخلاق الأصيلة، يعمل في غوط النخيل الذي ورثه عن والده الذي لم يعد قادراً على العمل فيه بسبب انحناء ظهره، فهو عمل في غوط النخيل منذ صغره، جاء

¹ - شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1998م، ص:31.

بداية الرواية وصف لهذه الأعمال الشاقة المنهكة: «الرياح تعصف بشدة، والغبار يغطي السماء ويحجب الشمس، وجهة المعفر بالتراب توخره حبات الرمل المتطايرة من الزنبيل الممتلئ والملتصق بظهر الحمار المنهك، المتلكئ في مشيته وهو يقطع بصعوبة كبيرة كل هذه المسافة الطويلة من أسفل غوط النخيل إلى قمته متقلا بالأثربة سيقان الحمار تنقوس من شدة التعب والجوع، وهو أيضا يتقوس ظهره ويميل إلى جهة اليسار ويصير كالمعاق لكثرة انحناءات جسمه يوميا في رفع الرمل بالرفش من الأرض إلى الزنبيل».¹

ساير صالح الزمن بكل أبعاده خاصة صعوبة العيش ومشاق الحياة والصراع مع الطبيعة الصحراوية وصموده فيها، يقوم بملء مئة زنبيل من الرمل كل يوم حيث يثبته على ظهر الحمار ليصعد به من أسفل غوط النخيل إلى أعلاه ويظهر ذلك في الرواية «حينما يصل رفع الرمل إلى مئة زنبيل ويطمئن الوالد إلى أن الحاجز الرملي في أعلى الكثيب يتشكل على نحو يقي حفرة النخيل الواسعة ويحجبها عن أعين الغرباء والحساد يعطي الوالد طعاما بسيطا، ويرمي للحمار كمية من العلف، ثم يمنح الرفيقين الحق في الراحة إلى غاية اليوم التالي».²

ينتقل صالح ليصبح عامل في الفرع الجنوبي للشركة ويفضل جهده ومهارته في عمله تتم ترقيته بمسؤولية في الشركة الأم بالشمال فينتقل بعائلته للمدينة ليعيش الصراع والتناقضات التي تؤدي به إلى التوقف عن عمله وعزلته عن أسرته.

*رقية: شخصية لها دور كبير في تحريك أحداث القصة، فهي شخصية مساعدة، فالشخصية المساعدة «تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية رغم أنها تقوم بأدوار مصيرية أحيانا في حياة الشخصية الرئيسية»³ فالشخصية المساعدة هي الشخصية التي لا

1 - خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، مطبعة سخري للتصميم والطباعة، الطبعة الأولى، 1432هـ - 2011م، ص: 04.

2 - نفسه، ص: 09.

3 - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص: 32.

يمكنها التطور في حدود العمل المقترح كما جاءت رقية في الرواية بعد إنهاء دراستها الابتدائية، تعمل في الفرع الجنوبي للشركة في مخزن التمور، فهي تعمل من أجل أسرته المعوزة رغم الأجر الزهيد الذي تقتضيه خطبت لصالح «بعد شهور قليلة تتقدم أم صالح لخطبة رقية فتوافق أمها على الفور وترسل زغرودة الفرح مدوية في كل الأرجاء حتى قبل أن تستشير ابنها في الأمر وكأنها تعام بخبايا قلب ابنتها التي تنتظر هذه اللحظة السعيدة».¹

وقد كان لها الفضل في تشغيل صالح في الفرع الجنوبي للشركة، «تلاحظ رقية بان المدير متردد في اتخاذ قرار بشأن تشغيل الشاب نظرا لهندامه الذي لا ينسجم وطبيعة العمل في الشركة، ويبدو أن شكله لم يقنع المسئول، إنها لا تريد أن تفوته الفرصة ويحل مكانه شخص آخر، فصالح بالنسبة إليها هو كل شيء في حياتها ومستقبلها، تنفصل قليلا عن صف زميلاتها من العمال والعاملات حتى يراها الجميع ويكون صوتها عاليا، تتسلح بالجرأة وتقرر أن تخلع عن نفسها ثوب الحرج والخوف أرجو أن تجد لصالح شغلا، أي شغل لكي يعيل أسرته الفقيرة».²

فرقية رغم عادات مجتمعتها وقوانينه التي تربطها، من قيود لا يمكن تجاوزها كما جاءت في كتاب الانثروبولوجيا «أن المجتمع المحلي باعتباره جماعة من الأفراد تجمع بينهم روابط عديدة ومتنوعة ويشتركون في قدر من المصالح والاهتمامات....»³ وكذلك إن «علم الاجتماع يدرس ظاهرة التجمع الإنساني من حيث أصلها وتطورها ووظائفها وأشكالها كما تدرس الانثروبولوجيا نشأة المجتمعات الإنسانية وتطورها وثقافتها الإنسانية وتنوعها».⁴

1 - نفسه، ص: 09.

2 - خليفة قعيد، فجر الغيطان، ص: 11.

3 - أحمد زغب، مبادئ الانثروبولوجيا، مطبعة صغري، الوادي، حي المنصر الجميل، 2012، ص: 59.

4 - خليفة قعيد، فجر الغيطان، ص: 41.

فتجاوزت رقية كل القوانين من اجل صالح الذي سيكون زوجها في المستقبل فتتزوج من صالح وبعد ترقيته من مهمة عون حسابات لمكتب الفرع إلى مسؤولية كبيرة في المؤسسة الأم بالشمال، تنتقل مع زوجها وأولادها إلى المدينة، عرفت بحبها وإخلاصها لزوجها.

والد صالح: رجل مسن أتعبته مشاق الحياة فقد قضى شبابه في الحفر ورفع الأتربة من أسفل الغوط إلى أعلى الكثيب، وقد كان يحمل زنبيل الرمل المملوء بالتراب ويثبته على ظهر الحمار، فقد هلك وأصبح عاجزا في سن الخمسين، وقد ورث هذا الغوط ومشاق العمل فيه عن آباءه، وبعد عجزه تماما عن العمل سلم عمله إلى ابنه "صالح"، «كم أشفق عليك يا والدي أعرف أن جسمك غض ورفع الرمل يقضي على شبابك، ولكن كما ترى عاجز الآن عن القيام بذلك عوضا عنك، أحب هذه الأرض ولم أشأ أن أهاجر إلى بلد آخر طلبا للرزق وحافضة على ما بدأه آباي في إنشاء هذا الغوط وحفره إلى هذه الأعماق البعيدة للوصول إلى التربة الرطبة لغرس بعض النخيل حتى لا نموت جوعا».¹

كان والد صالح يتمنى لابنه حياة أفضل من حياته فقد درس صالح الابتدائية في القرية ولم يستطع والده أن يتكفل بتدريسه خارج القرية في المدرسة المتوسطة بسبب انعدام وسائل النقل «أنت نجحت بتفوق كبير في دراستك الابتدائية ولم يكن لدينا المال الكافي لتتكفل بتدريسك خارج القرية في البلدية المجاورة لأن وسائل النقل الحديثة منعدمة والمسافة بين القرية والمدرسة المتوسطة بعيدة جدا والحمار لا يقدر على ذلك، فكما تعرف لدينا حمار وحيد وله مهمة أخرى هنا، أرجو أن يخفف الله عنك التعب فإني لا أريدك أن تكون كأبيك وجدك اللذين اختارا مصيرا شبيها بمصير زواحف الشرشمان التي لا حياة لها إلا في رمال الصحراء».²

والدة صالح: شخصية ثانوية لها دور في تحريك أحداث الرواية فالشخصية الثانوية تلعب دورا هاما في بعث الحركة الحيوية داخل البناء الروائي فهي العنصر البسيط المساعد

1 - نفسه، ص: 05.

2 - خليفة تعيد، فجر الغيطان، ص: 05 - 06.

للشخصية الرئيسية وهي «مسطحة أحادية وثابتة ساكنة واضحة ليس لها أي جاذبية تقوم بدور تابع عرضي لا يغير مجرى الحكى، لا أهمية لها فلا يؤثر غيابها في العمل الروائي، تقوم بأدوار محددة إذا ما قورنت بأدوار الشخصيات الروائية، قد تكون صديق للشخصية الرئيسية أو لإحدى الشخصيات الأخرى التي تظهر بين الحين والآخر وقد قوم بدور تكميلي مساعد للبطل ومعين له فتظهر في أحداث ومشاهد»¹.

لم تشأ أن يكون لولدها مصيرا مماثلا لمصير والدها الذي قضى عمره في الحفر والرفع، أو مصير خاله الجموعي، الذي انهال عليه الردم وهو يبعد الرمل عن النخلات بيده فقد سلبه هذا الغوط حياته في سن مبكر خلفا وراءه زوجته وابنته رقية يصارعان الحياة والفقر «هناك نخلات حالك الجموعي تحت أطولها مات المسكين تحت الردم الذي انهال عليه من كل الجهات وهو يفك التربة عنها بيده وإلى جانبه قفة الرمل دفناه ووضع والدك القفة فوق قبره، وحل بنا حزنا كبير الكثير من الرجال ماتوا تحت رمال الغيطان والأحياء انحنى ظهورهم وبدو كشيوخ طاعنين في السن رغم أنهم ما زالوا شبانا أنظر إلى والدك في سن الخمسين وعاجز تماما عن الحركة لأن طاقة شبابه استنفذها في هذه الحفر الرملية أقول لك كل هذا حتى تعرف أن أمك تريد لك عملا مريحا ومستقبلا آخر غير رفع الرمال وغراسة النخيل»²، «هذه رقية ابنة خالك تزورنا كل جمعة في يوم عطلتها الأسبوعية لولا إمام المسجد الذي تدبر لها شغلا في فرع شركة التمور بالقريبة لكان الفقر قد قضى عليها وعلى أمها»³.

*الشخصيات في بعدها المدني: نختصر شخصيات المدينة في الجدول الآتي:

رقم الصفحة	موقعها في الرواية	دورها	الشخصية
		له دور فعال في مجرى	«فجأة يتعالى صراخ امرأة في أحد المكاتب القريبة

1 - محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، ص: 57-58.

2 - السابق، ص: 08.

3 - خليفة قعيد، فجر الغيطان. ص: 08

<p>125</p>	<p>يهرع ناحية ناحية مصدر الصوت كل من استطاعت قدماه إن تطير به إلى هناك ينحصر المشهد عن منظر مريع هيام السكرتيرة ممزقة الثياب ومنفوشة شعر الرأس خدوش دامية على وجهها وصدرها وعلى فخذيهما العاريتين يكتمل المشهد باكتشاف المتفرجين لصالح وهو يقف مذهولاً إلى جانبها كالأبله لا يقوى على الحركة يتحول إلى ما يشبه المومياء المحنطة»</p>	<p>أحداث الرواية وهو المدير الجديد للشركة يعمل على إغراء صالح وذلك بترقيته إلى رئيس مصلحة الإدارة المالية ولما لم يسايره في أعمال الفساد ينصب له كمين لا أخلاقي محبوك وهو اتهامه باغتصاب السكرتيرة هيام التي كانت متفقة مع رشيد لتوقيع صالح في الفخ.</p>	<p>رشيد</p>
<p>71</p>	<p>«يعلق إبراهيم ضاحكا الأموال التي تذهب إلى للحساب البنكي للجمعية نبيض جزءا هاما منها وننقاسمه بيننا لن ننسى بطبيعة الحال بعض الفلاحين الذين يساندوننا من مكتب الجمعية ومن خارجه»</p>	<p>شخصية كذلك لها دور فعال في تحريك مجرى القصة فهو رجل متدني الأخلاق يعمل على تبييض الأموال التي تذهب إلى الحساب البنكي للجمعية فهو من شركاء رشيد وقد ساندته في الكثير من الأعمال الخبيثة</p>	<p>إبراهيم</p>
<p>72</p>	<p>«في دوامة التفكير يقول إبراهيم: دور صونيا مهم جدا في برنامج الزيارة، يحزى في نفسي كثيرا إن تغادر الدائرة الفلاحية بتلك الطريقة. يسوقه رشيد ساخرا، أنت من وقع قرار الطرد؟ - لم أوقعه حتى الآن، لا يمكن أن أتخلى عنها إنها مسئولة العلاقات العامة عندي ولكن ما أقدمت على فعله كان فاضحاً، هناك شهود عيان رأوا ما قامت به مع أحد الموظفين تدعي دائما أنه سيصير زوجها</p>	<p>امرأة لعوب يستعملها رشيد لتنفيذ خطط الفساد المختلفة وهي مسئولة العلاقات العامة بالدائرة الفلاحية تميل إلى صالح وتتعاطف معه في محنته، حيث يقع في حبها بل ويعيد معها الزواج بعد عزلته مع أسرته</p>	

<p>193</p>	<p>في المستقبل». «يصرخ موح: صونيا انتحرت، حدث هذا أمام عيني، عندما تقدم أحد أفراد الشرطة لإلقاء القبض عليها وهي تهم بقطع الطريق للدخول إلى الشركة، فلتت منه ورمت بنفسها تحت عجلات الشاحنة المسرعة»</p>	<p>الأولى. وفي الأخير تنهي صونيا حياتها وذلك برمي نفسها أمام شاحنة خوفا من السجن مخالفة ورائها حزن كبير في قلب صالح الذي أحبها وتزوجها رغم ماضيها الأسود الغير مشرف</p>	<p>صونيا</p>
<p>134 155</p>	<p>«لا يكاد يمر يوم إلا ويطلب منه هذا الرجل العمل عنده كنادل، بعد تردد يقبل الشغل» «الصدقة متوقفة والألفة سائدة، الحاج الربيجي يصبح السند المتين لصالح ساعة الملمات كلاهما يستفيد من نصائح الآخر».</p>	<p>وهو صاحب مقهى الأهرام كان موظفا في القطاع العام وأصبح مالك للمقهى الذي يعمل فيه صالح بعد طرده من عمله حيث يطلب منه الحاج الربيجي أن يعمل معه كنادل، وبعد عمل صالح لشهور مع الحاج الربيجي في المقهى تتطور العلاقة بينهما إلى صداقة متينة وعليه فالحاج الربيجي كان سندا لصالح حيث ساعده على استرجاع حقه من رشيد وأعوانه وكشف أعمالهم الخبيثة.</p>	<p>الحاج الربيجي</p>

157	«يستطيع الحاج الربيعي أن يعرف صالح على حميد الصحافي العامل بجريدة الثورة التابعة للقطاع العام، مع مرور الأيام تحصل بين الاثنين ألفه طبيعة.....مع تطور العاقبة بينهما، يفتح صالح صدره للصديق الجديد ويصب إليه بهوممه.»	من الشخصيات الفاعلة في الرواية وهو صحافي عامل بجريدة الثورة التابعة للقطاع العام، يتعرف على صالح عن طريق الحاج الربيعي	
159	«حميد أنت شاب طيب حررت بنفسك موضوع قضيتي ووعدتني بنشرها وأكدت لي أن مدير التحرير مهتم شخصيا بالرسالة»	يحاول حميد مساعدة صالح في محنته وذلك بالعمل على كتابته رسالة يكشف فيها كل خطط الفساد في الشركة التي كان يعمل فيها صالح بغية كشف رشيد وخطه الجهنمية واسترجاع حق كل من ضاع حقه	حميد

فتعتبر هذه الشخصيات المدنية شخصيات ثانوية هذه الشخصيات خادمة للشخصية الرئيسية فهي شخصيات ذات رسالة كما يريد منها القاص وهي التي تحمل آراء المؤلف فقد نجد الشخصيات الثانوية مضيئة للرئيسية، «ونجد الشخصية الثانوية هي التي يؤدي بها لتأنيث الفضاء ويبقى الحكم الذي نقدمه للشخصية مرتبط بالعمل المنجز»¹ ولا يمكن لأي عمل روائي أن يخلو منها فأهميتها كأهمية الملح للطعام.

*من صنع الإنسان الصحراوي:

غوط النخيل: يمثل الغوط مظهرا فلاحيا فريدا من نوعه، فهو منخفض واسع يصل ارتفاعه لأكثر من 10 أمتار تزرع فيه النخيل ثم يتم إنشائه من قبل فلاح المنطقة والقرية لسقي النخيل، فعوض رفع المياه من مستوى المزروعات ثم إنزال النخيل لمستوى المياه، وهذه الطريقة تعتبر إبداعا شبهه بعض من زار المنطقة قديما وحديثا بما قام به الفراغنة، فهؤلاء

¹ - محمد معتصم، بنية السرد العربي من مسائلة الواقع على مسائلة المصير، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف دار الأمان، الرباط، ط1، 1431هـ، 2010م، ص:124.

بنو أهرامات إلى الأعلى، فرد السوفي حفرها إلى الأسفل فالغوط فضاء مفتوح وهو النقطة الأساسية التي تنطلق منها الرواية يحمل دلالة كلاسيكية لأنه يرمز إلى تواجد المناطق الصحراوية التي تجتمع فيها واحات النخيل، ولقد ورد ذلك في الرواية «الرياح تعصف بشدة، والغبار يغطي السماء ويحجب الشمس وجهه المعفر بالتراب توخره حبات الرمل المتطايرة من الزنبيل الممتلئ والملتصق بظهر الحمار المنهك الملتكى في مشيته وهو يقطع بصعوبة كبيرة، كل هذه المسافات من أسفل غوط النخيل إلى قمته.....»¹، فهذا المقطع يوحي لنا بأن الغوط عبارة عن حفرة عميقة بشكل هرم مقلوب يحوي مجموعة من النخيل في باطن الأرض، فالغوط بالنسبة لأهالي القرية يمثل ولادة الحياة منها ما جاء في الرواية «...ولم أشأ أن أهاجر إلى بلد آخر طلبا للرزق وحافظت على ما بدأه آبائي في هذا الغوط وحفره إلى هذه الأعماق البعيدة للوصول إلى التربة لغرس بعض النخيل حتى لا نموت جوعا»² كما يمثل نهاية الحياة لموت الفلاحين بسبب رفع الرمال والتي انهارت عليهم بالردم كما وردت في الرواية «هناك نخلات خالك الجموعي تحت أطولها مات المسكين تحت الردم الذي إنهال عليه من كل الجهات وهو يفك التربة عنها بيده وإلى جانبه قفة الرمل، دفناه ووضع والدك القفة فوق قبره وحل بنا حزن كبير، الكثير من الرجال ماتوا تحت رمال الغيطان والأحياء انحنى ظهورهم وبدو كشيخ طاعنين في السن رغم أنهم مازالوا شبانا»³.

والغيطان جمع غوط يدل على كثرة النخيل في وجود الواحات الصحراوية فلقد وصفها الكاتب في الرواية «غيطان نخيلنا التي نحفرها في هذه الصحراء القاحلة بعرقنا عبر حياتنا وحياة أجدادنا هي كتابنا الخالد الذي يحكي عنا»⁴ فرغم قساوة العيش في القرية بسبب عوارض الطبيعة، إلا أن سكانها متمسكين بها محافظين عليها امتنانا وإخلاصا لأجدادهم الذين سعو في حفرها وغرس النخيل فيها والتي تعد مكسب رزق أهالي القرية.

1 - خليفة قعيد، فجر الغيطان، ص: 04.

2 - نفسه، ص: 05 .

3 - خليفة قعيد، فجر الغيطان ، ص: 06.

4 - نفسه، ص: 06.

ولقد ذكر ذلك في الرواية على لسان أبو صالح قائلاً: «أحب هذه الأرض ولم أشأ أن أغادر إلى بلد آخر طلباً للرزق حافظت على ما بدأه آبائي في إنشاء هذا الغوط وحفره إلى هذه الأعماق البعيدة للوصول إلى التربة الرطبة لغرس بعض النخيل حتى لا نموت جوعاً»¹.

1- **بيوت الجبس**: يعتبر المكان واحد من أهم العناصر الحكائية الفاعلة، التي تم توظيفها داخل البناء الروائي، فهو يكتسب قيمة عظيمة لا لأنه أحد عناصر الرواية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحوي كل عناصر الرواية بما فيها من أحداث، وشخصيات، وزمان، وما بينهم من علاقات، فالبيت كما هو متعارف عليه المسكن أو المؤوى الذي تؤوي إليه جميع المخلوقات طلباً للراحة والاستقرار فهو البنية الأساسية لل عمران البشري المتمثل في مجموعة القرى ومجموع المدن ولأن المكان ليس مجرد مكان نحيا أو نسكن فيه وكما هو جزء من كياننا ووجودنا الإنساني².

فإن باشلار جعل للبيت جسداً وروحاً واعتبره عالم الإنسان الأول الذي يتيح له أن يحلم بهدوء³. ويذهب إلى أنه واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسان فبدون البيت يصبح الإنسان كائناً مفتتاً⁴.

ورغم تعدد التسميات التي يحظى بها البيت في الأعمال الروائية كالمنزل والشقة والدار فإن هذه التسميات تلتقي جميعاً لتؤكد دلالة واحدة مفادها أن البيت مكان لا بد منه لضمان استقرار الفرد وثبات وجوده، فهو خلية يتجمع داخلها أفراد العائلة، حيث يمارسون بشكل تلقائي علاقاتهم الإنسانية.

1 - نفسه، ص: 05.

2 - ينظر، غاده الإمام، جاستون باشلار، جماليات الصورة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص: 290.

3 - ينظر، جاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طه،

2006م، ث: 37.

4 - ينظر، نفسه، ص: 38.

تحدث الكاتب في الرواية عن بيوت الجبس فهي مساكن بسيطة يعيش فيها سكان القرية مبنية بحجارة الجبس الهشة التي تملأ باطن الأرض، كما أنها مواد بناء لا تصبر ردحا طويلا من الزمن ولا تستطيع مقاومة غضب الطبيعة لأكثر من جيل واحد، وان لم يجدد السكان بناء هذه المساكن في كل مرة بعد مرور بضع سنين تصبح هذه المآوي عرضة للتهدم والانهييار، أمام استحالة تجديد المساكن في وقت واحد والأوضاع المادية القاهرة التي يعيشها أغلب السكان ويظهر ذلك في الرواية «...ضربت القرية أمطار طوفانية كبيرة في شتاء العام الماضي فهدمت الكثير من بيوت الجبس الهشة...»¹ فهي تدل على المساكن البسيطة التي يأوي إليها عدد من العائلات من أجل الاستقرار.

كما تعتبر فضاء للإقامة تجعل الإنسان الذي يعيش فيها يشعر بالطمأنينة التي لا يجدها إلا فيها باعتبارها المكان الذي ألفه منذ ولادته وحوى أسراره وذكرياته فهي تشعر الإنسان بالأمان كما يستطيع أن يقوم فيها بما يحلو له دون رقابة من الناس

الزريبة: هي عبارة عن غرفة مصنوعة من سعف جريد النخيل يصنعه أهالي القرية قرب غيطان النخيل وذلك من أجل الراحة فيه بعد العمل والزريبة مكان مغلق له عدة أغراض فهي تستعمل للحفاظ على التمور وكمخزن للتمور التالفة والعلف كما تستخدم كمسكن للمواشي لحمايتها من الحر والبرد. فقد كان صالح بطل الرواية يذهب للعمل كل صباح هو وحمارة وبعد أن يرفع مئة زنبيل من الرمل من أسفل غوط النخيل إلى أعلاه ينهكه العمل الصعب والشاق فيتوجه إلى الزريبة بجانب الغوط هو وحمارة لطلب قسط من الراحة ويظهر ذلك في الرواية «يصير الوقت ظهرا، فيخرج من الغوط ويسوق حمارة المنهك باتجاه الزريبة فيكرع في سطل الماء، ثم يرتمي على الأرض ويشرع في التقلب يمينا ويسرة بحثا عن الراحة وإعادة التوازن إلى جسمه المتفكك»².

1 - خليفة قعيد، فجر الغيطان، ص: 21.

2 - خليفة قعيد، فجر الغيطان، ص: 06.

فالزريبة تحمل دلالة كلاسيكية وقديمة وهي مكان للاستراحة من مشاق العمل وحرارة الشمس.

الزنبيل: هو أداة تستعمل لرفع الرمل، مصنوعة من سعف النخيل تغلف بطبقة من الجلد، كان يستعملها أصحاب الغيطان قديما في رفع الرمل من أسفل غوط النخيل إلى أعلى الكتبان الرملية، حيث توضع وتثبت على ظهر الحمار «الرياح تعصف بشدة، والغبار يغطي السماء ويحجب الشمس، وجهة المعفر بالتراب توخزه حبات الرمل المتطايرة من الزنبيل الممتلئ والملتصق بظهر الحمار المنهك، المتلكئ في مشيته وهو يقطع بصعوبة كبيرة كل هذه المسافة الطويلة من أسفل غوط النخيل إلى قمة متقلا بالأتربة»¹.

«مرة على مرة يغافل إياه المتدثر بعباءة والمتهالك على الأرض في أعلى حفرة النخيل يراقب له عدد وزناويل الرمل المرفوعة، ويتجنب الفرصة لكي يرتاح قليلا لشرب الماء أو سرقة بعض حبات التمر الموضوعة في الكيس»².

ب- عالم النبات:

«تتميز الصحراء بالنقص الشديد في النباتات، وإن وجدت فهي متفرقة مبعثرة وهذا يعني أن الغذاء المتوفر للحيوان يكون في حدوده الدنيا»³.

وبسبب الجفاف وندرة الأمطار والمناخ الغير ملائم فإن النباتات التي تنمو في الصحراء قليلة جدا حيث نجد معظم نباتاتها شائكة من بين النباتات التي كانت حاضرة في الرواية أو تم ذكرها أشجار النخيل التي ماتت موضوع الرواية تقريبا فهي تتحدث عن النخيل وغرسه وإنتاج التمور حتى أن الروائي بعد أن يتجاوز الحديث بعدة صفحات يسترجع إليها «ينظر مجددا أمامه حيث النخلات التي غرسها منذ أعوام أمام بيته...هي ما تبقى لي....أذوق

1 - نفسه، ص: 04.

2 - نفسه، ص: 04.

3 - رأفت حسن عبد الوهاب وعائش حسين السلامين، بيولوجية البيئة الصحراوية، ص: 195.

منها تمر دقلة الفأل...لولا قريبا من البيت ما استطعت رعايتها....غراسة النخل تقتضي تفرغا تاما وإمكانيات مادية كبيرة لا بقدر عليها موظف مثلي يجمع بصعوبة قوة عياله»¹، نجد هذا المقطع في الصفحة 16 يتجاوز الصفحة 17 و 18 و 19 و 20 ثم يرجع إليها في الصفحة 21 «ثم تلتها في صيغ العام الموالي عواصف رملية هوجاء محت مصدات الرياح وأعادة كثبان رملية بكاملها إلى داخل الغيطان فدفنت فسائل النخيل وغطت أجزاء كبيرة من جذوع النخيل»².

فمن مزايا شجرة النخيل هو تأقلمها مع الظروف الصحراوية القاحلة فهي تتحمل درجات الحرارة وانخفاضها للحدود التي تعجز عن تحملها الأشجار الأخرى كما أنها من أكثر الأشجار المثمرة تحملا لملوحة التربة³.

كما نجد الروائي هنا ركز على جمال شجرة النخيل «أمام باب المنزل تقف بعض النخلات الخضراء مستقبلة هطول المطر، يزداد لونها الأخضر نضاعة بفعل القطر الذي يمسح جريدها»⁴

«فالنخيل ثروة نباتية حبا الله بها الإنسان حتى يؤمن منها مأكله ومشربه فالنخيل عروس الصحراء وزينتها فمنه المأكول والمشرب والظل والظليل فهو يغدق دائما بشتى أنواع التمور ولكل أنواع طعمه ومذاقه ولونه، ناهيك عن السعف الذي يصنع منه القفاف والسال وغيرها وكذلك الحطب ومشروب الطلع إلى غير ذلك من المآرب الأخرى»⁵.

1 - خليفة قعيد، فجر الغيطان ، ص: 16.

2 - نفسه، ص: 21.

3 - ينظر، مصطفى أحمد القاسم، أشجار نخيل البلح، مديرية الإرشاد والإعلام الزراعي، الجزائر، (دط)، 1997، ص: 07.

4 - خليفة قعيد، فجر الغيطان، ص: 14.

5 - صلاح الدين باوية، مجلة النص البيئية الصحراوية وجماليات المكان في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر، مجلة الن(ا)ص،

جامعة جيجل، الجزائر، العدد العاشر، ديسمبر 2011م، ص: 72.

نظراً لأهميتها قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} ¹.

شجرة نخيل التمر من أقدم أشجار الفاكهة في العالم فقد كرم عز وجل النخلة تكريماً عظيماً فقد ورد ذكرها في القرآن عشرين آية من ست عشرة سورة كما ذكرت في الأحاديث النبوية ففي القرآن الكريم قوله تعالى: {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ} ² رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ} ². في الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وسلم: { فِي جَوْفِ الْمُؤْمِنِ زَاوِيَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا النَّمْرُ } ³. فهي شجرة مباركة تلك التي عرفت منذ القدم تفاعل معها الإنسان وما زالت راسخة في الأرض شامخة نحو السماء رمزا للتحدي والعطاء.

وعليه فقد نجد الصحاري مجافية للحياة والأحياء لكن بعض الكائنات من نباتات تتجاوز هذا الجفاء بمائها من قدر على العيش بالقليل من الماء فالنباتات الصحراوية كغيرها من النباتات لا تستغني عن الماء لتنمو وتتكاثر فهي تجابه ندرة الماء بتكيفات متباينة فبعض هذه النباتات ذات جذور طويلة جدا تمتد إلى تربة الأعماق .

وبعضها الآخر تنتشر جذوره في شبكة على الأعماق مقربة من السطح بحيث تتلقى القدر الأقصى من الماء حين تمطر.

ج- عالم الحيوان: إن الظروف البيئية التي تتعرض لها الكائنات التي تعيش في الصحراء مثل شدة أشعة الشمس والحرارة والرطوبة المنخفضة وندرة أو افتقار الماء والرياح والعواصف الرملية وقلة الظل بسبب قلة الغطاء النباتي لها اثر واضح على سلوك هذه الكائنات ⁴.

1 - سورة يس، الآية: 34 - 35.

2 - سورة ق، الآية: 10.

3 - مصطفى أحمد القاسم، أشجار نخيل البلخ، ص: 01.

4 - رأفت حسين عبد الوهاب وعائش حسين السلامين، بيولوجية البيئة الصحراوية، ص: 196.

لذا فإن الحيوانات التي تعيش في المناطق الصحراوية قليلة جداً، بسبب الطبيعة القاسية ومن بين أهم الحيوانات التي تعيش في الصحراء، نجد الجمال والإبل، فالإبل هي أحد الأسماء التي تطلق على الجمل، والذي يعتبر من أشهر الكائنات الحية التي تعيش في الصحاري ولشدة تحملها لحرارة الشمس والرمال واعتمد عليها العرب في ترحالهم، وقد 'هاموا بتربيتها، كما يعتبر من الحيوانات التي أشار إليها العرب في ترحالهم، وقد اهتموا بتربيتها، كما أنها من الحيوانات التي أشار إليها القرآن الكريم للتدبر فيها وذلك في قوله عز وجل: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} ¹. تحدث الروائي "خليفة قعيد" عن عظمة الإبل وقدرته على تحمل الظروف القاسية في الصحراء حيث يقول «تبدو الكثبان الرملية» المبلة في لونها البني وكأنها تلبس دبر الإبل إنها الحيوانات الوحيدة التي تبيت في العراء بضواحي القرية ولا تؤثر فيها الأمطار الراعدة مهما تبلغ قوتها ولا حتى العواصف الشديدة» ². ومن بين الحيوانات الصحراوية المذكورة في الرواية نجد الحمير، فالحمار من أهم الحيوانات الصحراوية التي يعتمد عليها أهالي الصحراء في أعمالهم الشاقة، مثل حفر غوط النخيل حيث يتم تثبيت زنبيل مملوء بالتراب على ظهره لينقله الحمار من أسفل الغوط إلى أعلاه: «الرياح تعصف بشدة، والغبار يغطي السماء ويحجب الشمس وجهه المعفر بالتراب توخره حبات الرمل المتطايرة من الزنبيل الممتلئ والملتصق بظهر الحمار المنهك المتكئ في مشيته وهو يقطع بصعوبة كبيرة كل هذه المسافة الطويلة من أسفل غوط النخيل إلى قمته مثقلاً بالأتربة . سيقان الحمار تنقوس من شدة التعب والجوع» ³. كما تحدث الكاتب عن الحمار وأهميته للعمل لدى أهالي الصحراء - الله يرحمه، هل كان لديه حمار مثلي؟

- ليس من السهل امتلاك حمار في ذلك الوقت، الفقراء لا يستطيعون شراء

الحمير إلا القليل منهم كان الأغنياء هم بإمكانهم امتلاكها، حيث يؤجرونها لشباب العائلات

1 - سورة الغاشية، الآية: 17.

2 - خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، ص: 20.

3 - نفسه، ص: 04.

الفقيرة للعمل في غيطانهم لرفع الرمال عن النخيل، أو حفر غيطان جديدة يتقاسم الأجرة العامل والحمار باعتباره وسيلة عمل أيضا...»¹.

كما أشار الكاتب إلى بعض الزواحف مثل زواحف الشرشمان «أرجو أن يخفف الله عنك التعب، فإني لا أريد أن تكون كأبيك وجدك اللذين اختارا مصيرا شبيها بمصير زواحف الشرشمان التي لا حياة لها إلا في رمال الصحراء»².

وعليه فالحيوانات التي تعيش في المناطق الصحراوية قليلة جدا بسبب فقر الحياة وقد وهب الله الحيوانات الصحراوية خصائص معينة تستطيع من خلالها التكيف مع الظروف القاسية في المناطق الصحراوية.

2- المكونات الطبيعية لعالم الصحراء:

أ- الرمال: تعتبر الرمال من المكونات التي توجد في الطبيعة بشكل حر حيث أنه تعرفه الموسوعة العالمية هو مادة حبيبية طبيعية تتكون من جزيئات الصخور المفتتة الناعمة وفتات المعادن وتعرف من حيث الحجم على أنها المادة ذات الحبيبات الأصغر من الحصى والأكبر من الغرين (الطمي) ويختلف تكوين الرمال تبعا لمصادر الصخور المحلية المكونة وظروفها ولكن المكون الأكثر شيوعا لها في المناطق القارية الداخلية والمناطق الساحلية غير الاستوائية هو السيليكا "ثاني أكسيد السيليكون أو SiO_2 " التي عادة ما يكون على شكل معدن الكوارتز (المرو) وتعد كربونات الكالسيوم النوع الثاني الأكثر شيوعا من مكونات الرمال مثل معدن الأراجونيت.³ فالرمال من أهم المكونات الطبيعية للصحراء وهذا بسبب كثافتها في هذه المنطقة حيث تشكل الكثبان مساحات واسعة منها وقد تعرض الكاتب للحديث عن الرمال في عدة مواضع في الرواية منها «حينما يصل رفع الرمل إلى مائة زنبيل ويطمئن الوالد إلى أن الحاجز الرملي في أعلى الكثيب يتشكل على نحو يقي حفرة النخيل الواسعة ويحجبها عن أعين الغريباء

1 - نفسه، ص: 07.

2 - نفسه، ص: 05-06.

3- ينظر، <https://ar.m.wikipedia.org/wiki> على الساعة 06:30 صباحا في يوم: 2019/06/07.

والحساد...»¹ في هذا المقطع يبين لنا الكاتب أنه من أهم أعمال أهل الصحاري رفع الرمل وذلك إلى تشكيل غيطان الزرع النخيل، مما يدل على تزايد الرمال وبشكل مكثف في المناطق الصحراوية. كما نجده يقول في مقطع آخر «فإني لا أريد أن تكون كأبيك وجدك اللذين اختارا مصيرا شبيها بمصير زواحف الشرشمان التي لا حياة لها إلا في رمال الصحراء....»². ويقول أيضا: «الله يبعد عليك رفع الرمال التي قتلت خالك الجموعي الله يرحموا انهار عليه الردم ففارق الحياة ولم يستطيع أقوى رجال القرية سحبه من تحت الأتربة إلا وهو حثة هامة بعد ثلاث أيام من البحث عليه في عمق الأرض»³.

فتحتل الرمال مساحة كبيرة من المساحة الكلية للصحراء فكلما ذكرت الصحراء ذكرت الرمال حيث تعتبر الكثبان الرملية التي تغطي مناطق شاسعة من الصحراء إحدى المعالم المتميزة فيه إلا أننا ما نلاحظه من خلال الرواية أن الكاتب وظف الرمال الصحراوية في روايته بشكل سلبي، حيث اعتبر رفع الرمل من الأعمال الشاقة التي تؤدي شيئا فشيئا إلى الهلاك.

ب- الرياح الصحراوية: وهي «حركة أو انتقال كميات كبيرة من الهواء»⁴ حيث أن لها أنواع رياح دائمة: ولها ثلاث أنواع تجارية وعكسية وقطبية. موسمية: ولها نوعان موسمية صيفية وموسمية شتوية. محلية: ولها ثلاث أنواع سموم وخماسين وشمالية. يومية: ولها نوعان إما أن تكون نسيم بر وبحر أو نسيم جبل ووادي.⁵

فالرمال الصحراوية عندما تغضب تثير في الأرض غبارا كثيفا يغطي الصحراء ويحجب الرؤية، فهي تحتل بدالاتها الإيجابية والسلبية مكانا في عقول الصحراويين، وقد ذكرها "خليفة

1- خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، ص: 05.

2- نفسه، ص: 05-06.

3- نفسه، ص: 07.

4- <https://www.lazemtefham.com> على الساعة 10:00 صباحا في يوم: 2019/06/07.

5- ينظر، <https://ar.m.wikipedia.org/wiki> على الساعة 11:00 صباحا في يوم: 2019/06/07.

قعيد" في روايته قائلاً «الرياح تعصف بشدة، والغبار يغطي السماء ويحجب الشمس، وجهة المعفر بالتراب توخر حبات الرمل المتطايرة من الزنبيل الممتلئ والملتصق بظهر الحمار المنهك...»¹.

ويقول أيضا «يقطع النسوة تطوافهن بين البيوت في هذا الجو المكفهر بعد عاصفة رملية هوجاء عاشتها القرية لعدة أيام يدخلن على بيوتهن للاحتماء داخل الغرف بإشغال المواقد. يختفي الكبار إلا القليل منهم ما زالت أصواتهم تطارد الصغار طالبة منهم التوقف عن اللعب فوق المساحات الرملية وعلى قمم الكثبان...»².

تنتقل الرمال من مكان لآخر بفعل الرياح، فالريح تعمل على تحريك الرمال وزحزحتها من مكانها لتحل مكانها رمال أخرى، والرياح تدل على الطبيعة القاسية، وخاصة الرياح الفجائية الصحراوية التي تأتي دون سابق إنذار حيث لا تترك مجالا للسكان لتجهيز معدات الصمود أمامها خوفا من مساكنهم ومحاصيلهم الزراعية، فالرياح بطبيعتها السلبية تعد سببا من أسباب الدمار.

كما ذكر الروائي الرياح في «...وتذهب رياح الربيع بغبار الطلع العالق ببعضها... في فصل الربيع تصبح هذه المنطقة خيشوما صحراويا تتسايل منه، دون توقف، عواصف رملية مرعبة تحجب الرؤية ويهرب من وجهها الإنسان...»³.

ج- الأمطار والسحب: هي ظاهرة من الظواهر الطبيعية، «فالمطر هو قطرات الماء التي تتساقط من السحاب على الأرض»⁴ والمطر عظيم الأهمية حتى أنه ذكر في القرآن الكريم في عدة مواضع نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذَى مِّن مَّطَرٍ أَوْ

¹ - خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، ص: 04.

² - نفسه، ص: 13.

³ - خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، ص: 15.

⁴ - ينظر، <https://ar.m.wikipedia.org/wiki> على الساعة 20:00 مساء في يوم: 2019/06/07.

كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ^ط وَخُذُوا حِذْرَكُمْ^ط إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا¹.
 وقوله تعالى أيضاً: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطْرًا سَوْءًا². وقوله: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
 مَطْرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ³. وله العديد من الإيجابيات والفوائد التي
 تعود بالنفع على المناطق التي يتساقط عليها وكما أن للمطر إيجابيات له سلبيات أيضا
 ويظهر ذلك في قول الروائي «ينزوي في ركن من الأركان الخارجية للبيت متجنباً الأمطار
 المتهاطلة، يفكر فيما ستسببه من مخاطر في حالة استمرار نزولها إلى يوم الغد، التربة
 الرملية والناس هنا لا يبنون هنا منازلهم إلا بحجارة الجبس الهشة التي تملئ باطن الأرض.
 إنها مواد بناء لا تصبر ردفاً طويلاً من الزمن ولا تستطيع مقاومته غضب الطبيعة لأكثر من
 حياة جيل واحد من الناس...»⁴، ويقول خليفة قعيد في روايته أيضاً: «...الغوط سيموت
 ...سيغرق في الرمال والماء...سيزيده هذا الشتاء ماء فوق ماء الأرض... حتى الرياح
 الهوجاء اعتادت أن تدفن كل مرة جزءاً منه... أما الخريف تفسد الكثير من العراجين
 الصغيرة النامية...»⁵ وذكر المطر قائلاً «أدخل صالح المطر صار أكثر إيذاءً والبرك
 المائية تتزايد والتربة المتشعبة عاجزة عن امتصاصها»⁶.

ما نلاحظه من خلال هذه المقاطع من الرواية أن الكاتب ركز على الجانب السلبي للمطر
 حيث كانت سبباً في تدمير بيوت الجبس الهشة التي تحتوي السكان، كما كانت سبباً لغرق
 الغيطان لكثرتها وعليه فهي سبباً للإيذاء والدمار والخراب هذا ما قاله الكاتب في الرواية إلا
 من المطر في الحقيقة لها جوانب إيجابية عديدة من ناحية النبات والحيوان والإنسان.

1 - سورة النساء، الآية: 102.

2 - سورة الفرقان، الآية: 43.

3 - سورة الأعراف، الآية: 84.

4 - خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، ص: 14.

5 - نفسه، ص: 15.

6 - نفسه، ص: 17.

3- المكونات الرمزية لعالم الصحراء:

أ/ - الموت: هو النهاية الحتمية التي تصل لها جميع الكائنات الحية، فهو حقيقة صعبة على النفس البشرية، حيث يتركهم متسائلين في حيرة عن مصيرهم، قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا

فَانِ ﴿١٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}.¹

*الموت في الشريعة الإسلامية: الموت في الحقيقة كما قال بعض العلماء: ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو: انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفاقة وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار (أي من دار التكليف والعمل إلى دار البرزخ والسؤال).²

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تذكرنا بالموت لتلن لها قلوبنا، ومن ذلك قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}،³ وقوله عز وجل: {أَيُّنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ}،⁴ وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ} ^ط ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.⁵

1 - سورة الرحمن، الآية: 26 - 27.

2 - محمد عبد الظاهر خليفة، الحياة البرزخية من الموت إلى البعث، دار الاعتصام، (د ط)، (د ت)، ص: 37.

3 - سورة آل عمران، الآية: 185.

4 - سورة النساء، الآية: 78.

5 - سورة الجمعة، الآية: 8.

كما وردت في السنة النبوية أحاديث جمة كلها تتحدث على ذكر الموت والاتعاظ به من قوله صلى الله عليه وسلم: «أَكثَرُوا مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ يُمَحِّصُ الذُّنُوبَ، وَيَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا»¹، رواه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف جدًا.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «أَكثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ» "يعني الموت". رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه، كما رواه غيرهما.²

*الموت في الكتابات الأدبية: الموت قدر محتوم على كل حي، وكل يوم يحي فيه الإنسان ما هو إلا خطوة نحو الموت، وهذه هي طبيعة الحياة، فالموت شغل فكر الإنسان منذ القديم وهو من أكثر القضايا تناولها الشعراء منذ أقدم العصور.

لقد تناول أبو العتاهية مضامين كثيرة ومختلفة، ولعل أكثر مضمون ركز عليه في شعره هو الموت، فلا نكاد نقرأ قصيدة من قصائده إلا ونجد صورة للموت وأهواله فأبو العتاهية جعل الموت الموضوع الأساسي في قصائده ومنه تترفع خطوط دعوته للزهد، يقول أبو العتاهية في قصيدته «الموت ما تلدون»

ما ينفع الموت أرصاد ولا حرس *** ما يغلب الموت لا جن ولا انس

ما إن دعا الموت أملاً - ولا سوقاً *** إلا تناهم إليه الصرع والخلس

للموت ما تلد الأقوم كلهم *** وللبلبلى كل ما بنو وما غرسو

هلا أبادر هذا الموت في مهل *** هلا أبادر ما دام لي نفس

يا خائف الموت لو أمسيت خائفه *** كانت دموعك طول الدهر تنبجس

أما يهلك يوم لا دفاع له *** إذا أنت في غمرات الموت تنغمس¹

1 - محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الضعيفة، ص:0.

2 - محمد عبد الظاهر خلية، مرجع سابق، ص:38.

ويقول أيضا في قصيدة «يا ليتني أدري»

أقولُ وبقضي الله ما هو قاضي *** واني بتقدير الإله لراضي

أرى الخلق يمضي واحد بعدَ واحدٍ *** قيا ليتني أدري متى أنا ماضي؟

كأن لم أمن حياً إذا إحتث غاسلي *** وأحكم درجي في ثياب بياض²

وقد شكل موضوع الموت هاجسا للروائي الجزائري التسعيني على اختلاف انتماءاته الفكرية، بحكم معاشته له يوميا، فجاءت نصوص كثيرة اختبرت فضاء الموت وكانت مثقلة بعناصره (كالمرض والقلق والهروب والخوف والاغتيال...الخ)، حيث تفننوا في رسم صور كثيرة للموت ومن هذه الروايات نجد: دم النسيان وتماسخت للحبيب السايح والقلاع المتآكلة لمحمد ساري وبماذا تحلم الذئاب ليا سميحة خضرا..الخ

وهذا "خليفة قعيد" يوظف الموت في الرواية متحدئا عن الإنسان الصحراوي ومصيره إلى الموت المبكر بسبب الأعمال الشاقة ويتبين ذلك في قوله «هناك ثلاث نخلات خالك أجموعي، تحت أطوالها مات المسكين تحت الردم الذي انهال عليه من كل الجهات وهو يفك التربة عنها بيده وإلى جانبه قفة الرمل، دفناه ووضع والدك القفة فوق قبره وحل بنا حزن كبير. الكثير من الرجال ماتوا تحت رمال الغيطان والأحياء انحنى ظهورهم وبدو كشيوخ طاعنين في السن رغم أنهم مازالوا شبانا، أنظر إلى والدك في سن الخمسين وعاجز تماما عن الحركة لأن طاقة شبابه أستنزفها في هذه الحفر الرملية».³

كما تحدث عن الموت قائلا: «وكما هو متوقع، تزف رقية بعد زمن قصير إلى شريك العمر في عرس بهيج يحضره الكثير من سكان القرية، ولم يرغب عنه إلا الوالد الذي انتقل إلى جوار ربه منذ أشهر بسبب مرض مفاجئ ناتج عن مخص معوي حاد بعد فشل الأدوية

1 - أبي العتاهية، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 1896م، ص: 04.

2 - نفسه، ص: 239.

3 - خليفة قعيد، فجر الغيطان، ص: 08.

التقليدية في إنقاذه مع غياب أي مصحة بالقرية أو بالقرى القريبة كان يمكن أن ينتقل إليها لعلاجها، رحل وخلف وراءه أحلاما كثيرة لم تتحقق، وأوصى قبل وفاته بأن يدفن في ناحية من نواحي الغوط الواسع الذي وهبه حياته وكأنه لا يريد حتى بعد موته أن يفارق المكان الذي يحبه».¹

ووصف الموت في قوله: «ثم لحقت الأم بالوالد بعد فترة بسبب إصابتها بنوبة ربو حادة، ودفنت إلى جانبه وفقا لرغبتها».²

وعليه فتعددت أسباب الموت، فهناك من يموت موتا طبيعيا وهناك من يموت مقتولا وهناك من يموت مقهورا أو مريضا، ويبقى الموت مصيرا واحداً لجميع الكائنات، حيث يصعب على الإنسان اقبلها إلا أنه نهاية حتمية لا بد منها لقوله تعالى: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَ} (٢١) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٢) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٣) وَالَّتِفْتُ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٤) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٢٥).³ فالموت لا يعرف صغيرا ولا كبيرا، ولا عنيا ولا فقيرا، ولا عظيما أو حقيرا.

ب/- الصبر: الصبر هو القدرة على تحمل المصاعب والابتلاءات على اختلاف أنواعها سواء كانت في الجسد أو في الطاعات أو غيرها من أمور الدنيا الزائلة ويجب على الإنسان أن يحبس نفسه ويضبطها عن فعل أي عمل يؤدي إلى غضب الله تعالى عليه، وقد أولى الإسلام عناية خاصة بالصبر وأعطاه منزلة مثلى في القرآن والسنة لما للصابر من أجر يوم القيامة جزاء لما تحمله في الحياة الدنيا، قال تعالى في كتابه الكريم: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ} وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا

1 - نفسه، ص: 12-13.

2- نفسه، ص: 15.

3- سورة القيامة، الآيات: 26-27-28-29-30.

أَصَبَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ¹. وقوله تعالى أيضا: {وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ²}.²

وفي صحيح البخاري في باب فضل من فقد بصره: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الليث قال حدثني ابن الهاد عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله قال: «إِذَا ابْتَلَيْتَ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ فَصَبَرَ عَوَضْتَهُ مِنْهَا الْجَنَّةَ»³.

في هذا الحديث يحدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن الصبر عند الابتلاء.

لقد تعرض "خليفة قعيد" في روايته للصبر، فالصبر صديق للإنسان يذكره أينما حلت عليه الشدائد ففي الرواية يقول «كم أشفق عليك والدي، أعرف أن جسمك غض ورفع الرمل يقضي على شبابك ولكن كما ترى عاجز عاجزا الآن عن القيام بذلك عوضا عنك، أحب هذه الأرض ولم أشأ أن أهاجر إلى بلد آخر طلبا للرزق وحافظت على ما بدأه آبائي في إنشاء هذا الغوط وحفره إلى هذه الأعماق البعيدة للوصول إلى التربة الرطبة لغرس بعض النخيل حتى لا تموت جوعا»⁴.

في هذا المقطع من الرواية يطلب الوالد من ولده أن يصبر على هذه الأعمال الشاقة التي يقوم بها عوضا عنه، لأن الوالد أصبح عاجز عن القيام بذلك فهو يشفق على ولده لأن هذا العمل شاق ولا يستطيع القيام به إلا من كان قويا صبورا، وفي مقطع آخر يقول: «....يجد الحاج عبد الرحمان إمام المسجد، يواسي الناس بتلاوة آيات من القرآن الكريم.....» فالحاج عبد الرحمان هنا يوصيهم به.

¹ - سورة البقرة، الآية: 155-156.

² - سورة البقرة، الآية: 45.

³ - أبي زكرياء يحيى ابن شرف النووي، رياض الصالحين، دار الريان، دمشق، (دط)، (دت)، ص: 22.

⁴ - خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، ص: 05.

وقال أيضا في مقطع آخر: «تتحدث رقية في دخيلتها بأشياء لا يعرفونها إلا هي ولا يستطيع أحد تحملها إلا من صبرت على مغادرة القرية مكرهة وطالتها أوزار المدينة تتمم...تشرذ عضو واحد من أسرتي اقل شقاءً وعذابا وأهون علي من تشرذ جميع أفرادها...كأن أستطيع أن أوصل، وحيدة، التضحية في سبيل ضمان السلامة الجسدية والمعنوية لهذا العش الذي تترعع داخل خطاباته فراخ صغيرة..»¹

فالعلاقة بين الإنسان الصحراوي والصبر علاقة شديدة الارتباط، وموثقة بحبل الأمل فلولا الصبر لكان الإنسان بائسا من الظلام الذي يسود هذا العالم وبالمشاكل التي تحدث فيه، والصبر هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة هذا الظلام.

والصبر مهم لمن يصبو للنجاح والتميز فعليه أن يصبر ويواصل في دربه، وكما يقال «لكل نهاية مشوقة بداية محرقة» وصبر المسلم على ما قضى الله له وقدر، فالمصيبة والنعمة هما ابتلاء من الله واختبار فمن صبر يجازيه الله على إحسانه، قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} ² أي أنه يبقى يكابد الهموم حتى الموت وقوله تعالى أيضا: {إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} ³ فجزاء الصابر عظيمًا.

ج- الفقر: تعتبر ظاهرة الفقر واحدة من أهم المعضلات التي واجهتها المجتمعات والحكومات والنظريات الاجتماعية من أقدم العصور، ولقد أضحت الفقر مشكلة اقتصادية وقضية إنسانية تنعكس آثارها السلبية على حياة المجتمعات من خلال ضعف معدلات النمو الاقتصادي وقضية إنسانية انعكس آثارها السلبية على حياة المجتمعات من خلال ضعف معدلات النمو الاقتصادي وترتجع مختلف المؤشرات الاجتماعية للتنمية، فالفقر كان ولا يزال

¹ - نفسه، ص: 172.

² - سورة البلد، الآية: 04.

³ - سورة الزمر، الآية: 10.

يهدد الازدهار حيثما كان ويشكل تعديا حقيقيا وصارخا للإنسانية، وأصبح ظاهرة عالمية، فالأمر الذي أدى إلى البحث باتجاه الحلول المناسبة للتخفيف من آثاره على المجتمعات.¹

لقد عان الإنسان الصحراوي من الفقر وصعوبة العيش في تلك الأراضي والمواصلات والمرافق من مؤسسات وعيادات وغيرها، فلا يستطيع في تلك الأراضي إلا من كان صبورا قويا قادرا على مقاومة الطبيعة سواء كان إنسان أو حيوان أو نبات، وقد تحدث الروائي "خليفة قعيد" في روايته عن الفقر قائلا: «هذه رقية ابنة خالك تزورنا كل جمعة في يوم عطلتها الأسبوعية لولا إمام المسجد الذي تدبر لها شغلا في فرع شركة التمور بالقرية لكان الفقر قد قضى عليها وعلى أمها».²

وقال أيضا «... رغم الأجر الزهيد الذي تتقاضاه وتعيّل به أسرته المعوزة فإنها تشعر بأن هذا العمل يعوضها عن التعليم المتوسط الذي لا تتوفر عليه القرية...»³

ففي هذه السطور يوضح الكاتب الفقر والحالة المزرية التي تعانيها رقية وأمها، حيث توفي والدها تحت الردم، مخلفا وراءه ابنته وزوجته يعانين النقص والفقر، فقد حاولت رقية أن تعمل لتعيّل أسرته المعوزة.

ويقول في مقطع آخر متحدثا عن الفقر «.... ليس من السهل امتلاك حمار في ذلك الوقت، الفقراء لا يستطيعون شراء الحمير إلا القليل منهم، كان الأغنياء هم من بإمكانهم امتلاكها حيث يؤجرونها لشباب العائلات الفقيرة للعمل في غيطانهم....»⁴.

¹ - ينظر، الطيب لحليح، محمد جصاص، الفقر... التعريف ومحاولات القياس، مجلو جامعة بسكرة، الجزائر، أبحاث إدارية واقتصادية،

العدد السابع، جوان 2010م، ص:166.

² - خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان ، ص:08.

³ - نفسه، ص:09.

⁴ - نفسه، ص:07.

كما تحدث عن الفقر في قوله «رغم الحالة المادية المزرية التي يعيشها صالح إلا أنه لا يفكر لا هو ولا رقية في التوقف المؤثت للحمل، ربما أن السبب عائد لكونهما منحدرين من وسط ريفي، يؤمنان بأن الرزق على الله تاركين لمشيئته تفعل ما تريد...»¹

وعليه تعدد أسباب الفقر في المجتمعات، فمنها ظاهرة البطالة وعدم توفر فرص عمل لأبناء البلد، حيث يوجد العديد من أرياب الأسر الذين لا يستطيعون سد احتياجات ومتطلبات أسرهم، بسبب عدم الحصول على فرصة عمل توفر لهم المال اللازم لتأمين لقمة العيش، وقد ذكر الله تعالى عن المشركين أن بعضهم كان يقتل ولده فلذة كبده إما من الفقر الذي يعيشه، أو خشية أن يصيبه الفقر، قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} ² وقد قال تعالى في كتابة الكريم عن الفقر أيضاً: {وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} ³ وقوله تعالى: {إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ⁴ فالإسلام أولى عناية كبيرة بظاهرة الفقر وأنواعه في الكتاب والسنة فالفقر أحد الظواهر الاجتماعية السيئة التي ازدادت نسبتها في الكثير من المجتمعات النامية والمتأخرة مثل الصحراء وأهلها الذين يعانون الفقر لأسباب كثيرة منها البطالة وضعف التحصيل العلمي بسبب غياب المؤسسات التعليمية والنشأة في المجتمعات الريفية المختلفة وغيرها.

د/- الزمن: يعتبر الزمن من المكونات الرمزية الأساسية في الصحراء وذلك للخصوصيات التي تتمتع بها البيئة الصحراوية، والدور المهم الذي يلعبه حيث يقول «يصير الوقت ظهراً، فيخرج من الغوط ويسوق حماره المنهك باتجاه الزريبة...»⁵ فيعد عمل شاق من الصباح حتى

¹ - نفسه، ص: 156.

² - سورة الأنعام، الآية: 151.

³ - سورة النساء، الآية: 06.

⁴ - سورة النور، الآية: 32.

⁵ - خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، ص: 06.

الظهر، يذهب البطل وصديقه الحمار، لأخذ قسط من الراحة، وإعادة التوازن إلى جسمهما المنهكين بسبب رفع الرمل، فالنهار في الصحراء يمر عسيرا ويطول مضيه.

«بعد شهور قليلة تتقدم أم صالح لخطبة رقية، فتوافق أمها على الفور وترسل زغرودة الفرح مدوية في كل الأرجاء...»¹. فالزمن في الصحراء زمن انتظار، فبعد شهور تقدمت أم صالح لخطبة رقية.

«بعد أيام يهدأ روع القرية، يذهب الفزع عن الناس، يبحث صالح في رأسه عن من يبيعه غوط النخيل ولو بنصف الثمن...»²، فهذه الصفات تزيد من قساوة الصحراء وصعوبة العيش فيها، «طيلة ساعات الطريق ولا يرسل أحدهم للآخر ولو كلمة واحدة، يفكرون فقط في القرية التي تحولت بإرادة القدر إلى صفحة من الماضي»³.

وقول الروائي موظفا الزمن «بعد فترة من السير والصبر، تبدأ اللوحات المرورية في التضاعف على طول مسافة الطريق»⁴.

فالوقت يمر بطيئا ثانية بثانية، ولحظة بلحظة، وعندما يمر يترك آثارا، فتضل هذه الآثار لا تمحي من الذاكرة. «الوقت يصل إلى منتصف الليل، يحس الجميع بتعب كبير، يعودون إلى مقاعدهم يرتاحون ويطردون التعب بشرب الجعة الباردة...»⁵، فالليل يأتي ليمحي ما خلفه النهار من أتعاب ومشقة وسعي وراء متطلبات الحياة.

«بعد دقائق في قاعة الضيافة يعود بلباس جديد يجدها في بهو البيت تنتظره»⁶.

¹ - نفسه، ص: 09.

² - خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، ص: 22.

³ - نفسه، ص: 23.

⁴ - نفسه، ص: 25.

⁵ - نفسه، ص: 43.

⁶ - نفسه، ص: 50.

وعليه فهذه التوضيفات للزمن تحمل دلالات عدة، فلا بد من توظيف الزمن باعتباره أحد ركائز الرواية.

خاتمة

خاتمة

نحمد الباري تعالى الذي وقفنا لما لإنجاز هذا المشروع الأدبي بعد المشوار الذي خضناه في البحث فمن خلال الغوص في عوالم الرواية في أعماقها بدرجات الفكر والعقل، ومما لا شك فيه أن الصحراء هي فضاء عجائبي وغرائبي بامتياز، باعتبارها تمثل "جزءاً من تراثنا العربي الطبيعي، فإذا كانت فقيرة في إنتاجها الزراعي والمادي، فإنها ينظر إليها على أنها غنية بتراثها الثقافي وإنتاجها الرمزي، ومن هنا تتحول الصحراء عند بعض الكتاب إلى مصدر للإلهام والإبداع. وفي نهاية هذا البحث خلصنا إلى النتائج المتمثلة فيما يلي:

1- أن المكان جزءاً مهماً لنجاح العمل الأدبي فحين يخلو العمل الأدبي منه فقد يفقد خصوصيته وأصالته التي تعد من أساسيات العمل الأدبي فالمكان يسهم بشكل أو بآخر في إعطاء نظرة شاملة عن الرواية.

2- المكان عنصر روائي لن ينغزل عن المكونات الأخرى كالشخصية والزمن والحدث، فالمكان يسهم في تسيير الأحداث وتسلسلها وترابطها. بل يتشكل من تصور الأحداث.

3- تدور أحداث رواية فجر الغيطان في أماكن عديدة بين الصحراء في بعدها البدوي والمدينة في بعدها الحضري منها: غوط النخيل وبيوت الجبس والزريبة والشوارع والعمارات...

4- الصحراء مكان قاحل تكون ظروف الطقس فيها معادية للحياة النباتية والحيوانية بسبب الحرارة المستمرة والجفاف الدائم، مما يؤدي إلى انعدام مظاهر الحياة فيها إلا في بعض الواحات التي يصارع الإنسان فيها الطبيعة من أجل البقاء مستخدماً كافة الوسائل المتاحة.

5- تعطينا الرواية صورة من صور المعاناة الحقيقية التي يعيشها سكان المنطقة الصحراوية بسبب قساوة العيش ورداءة الجو الذي يمتاز بالحرارة صيفا والبرودة "شتاءً" وما خلفه من مظاهر مثل ظاهرة النزوح الريفي والبطالة بسبب الأعمال الشاقة التي تميز المنطقة.

6- تعد الصحراء فضاءً مفضلاً عند الكثير من الشعراء والأدباء على مر العصور، ومعظمهم وظفوها بطريقة جمالية.

- 7- تضيق الصحراء وتتسع، أما ضيقها ناتج من العادات والتقاليد والالتزامات الاجتماعية التي فرضها الفكر الصحراوي. أما اتساعها في مساحاتها.
- 8- رواية فجر الغيطان رواية واقعية تصف مجتمعين مختلفين (مجتمع مدني ومجتمع بدوي)، وتبرز معاني مختلفة من الحياة قصد بها الروائي تجسيد الفكرة إلى واقع معيش.
- 9- يتحدث الراوي في روايته عن أهمية خدمة الأرض وغرس النخيل وقد اعتمد في ذلك على تصوير الأماكن بمختلف اتجاهاتها ومساحتها وأبعادها.
- 10- الغوط فضاء مفتوح وهو النقطة الأساسية التي تنطلق منها الرواية، فهو يرمز إلى تواجد المناطق الصحراوية التي تجتمع فيها واحات النخيل وبالتالي الحياة.
- 11- وصف الكاتب غوط النخيل في مواضع عدة من الرواية باعتبارها منبع الرزق لدى أهالي الصحراء، فرغم قساوة العيش في القرية بسبب عوارض الطبيعة إلا أن سكانها متمسكين بها ومحافظين عليها امتنانا وإخلاصا لأجدادهم الذين سعو في حفرها وغرس النخيل فيها.
- 12- لا نعارض بأن ثمرة النخيل (التمر)، منبع الرزق والطعام الأساسي لأهل الصحراء، بحيث يفنون أعمارهم في حفر الغيطان وغرس النخيل، حتى لا يمتون جوعا، إلا أننا ما نلاحظه أن الروائي "خليفة قعيد" بالغ في تعظيمه للتمر، فقد جعل لها شركة وفروع، كما بالغ في ما تجنيه هذه الشركة من أرباح بعد تصدير التمور للخارج فقد كان صاحب الشركة وأتباعه يعملون على تبييض الأموال والاختلاسات، فكيف تكون للتمور شركة وفروع، تصدر للخارج ويعمل المسئولون فيها على تبييض الأموال والاختلاسات.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- (1) إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، منشورات ثالة الأبيار، الجزائر، (د ط)، 2007.
- (2) ابن منظور، لسان العرب مج4، دار الصادر، بيروت. (د ط)، (د ت).
- (3) أبي العتاهية الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 1896م.
- (4) أبي الفضل ابن منظور، معجم لسان العرب، المجلد الثالث عشر، دار صادر بيروت، (د ط)، (د ت).
- (5) أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي، رياض الصالحين، دار الريان، دمشق، (د ط د ت).
- (6) أحمد زغب، مبادئ الانثروبولوجيا. مطبعة صخري، الوادي، حي المنظر الجميل، 2012.
- (7) أحمد شوقي، الشوقيات، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د ت).
- (8) أحمد محمد قاسم عتيق، محاضرات في مفهوم البداوة وخصائصها وغاية علم الاجتماع البدوي من دراستها.
- (9) أحمد وصفي زكرياء، عشائر الشام، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1983م.
- (10) إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، 1983م.
- (11) الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1993م.
- (12) امرؤ القيس، الديوان، دار المعارف (ج.م.ع). (د ط)، (د ت).
- (13) بطري البستاني/ محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1997م.
- (14) جميل صليبا، المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، (د ط)، 1972م.

- 15) حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وضلال اللوحات وفي الكتابة الغربية، دروب للنشر والتوزيع، (دط)، (د ت).
- 16) حماني حليلة، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني "تزييف الحجر والتبر وعشب الليل أنموذجاً"، الإنسان والمجال. مجلة دولية علمية محكمة، المركز الجامعي نور البشير بالبيض، العدد 05، 2017.
- 17) حيران مسعود الرائد، معجم ألف بائي في اللغة والإعلام، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 18) خديجة زياني وحنان حراث، مجلة الاقتصاد والمالية، التنمية السياحية الصحراوية في الجزائر قراءة في تجارب عربية ناجحة، مج4، العدد2، الجزائر، 2018.
- 19) خليفة قعيد، رواية فجر الغيطان، مطبعة سخري للتصميم والطباعة، الطبعة الأولى، 1432هـ - 2011م.
- 20) خليفة قعيد، فجر الغيطان، مطبعة سخري، حي المنزر الجميل الوادي، الطبعة الأولى، 1432هـ - 2011م.
- 21) رأفت حسين عبد الوهاب وعائش حسين السلامين، بيولوجية البيئة الصحراوية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1، 2015م.
- 22) زهير ابن أبي سلمى ، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1911م.
- 23) سارة حسين جابري، أعذب قصائد مفدي زكرياء، إصدارات العوادي، الجزائر، عين البيضاء، (د ط)، 2014.
- 24) سعد العبد الله الصويان، الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور قراءة انتربولوجية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2010.
- 25) شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، الجزائر، 1998م.

- 26) صلاح الدين باوية، البيئية الصحراوية وجماليات المكان في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر مجلة الن(ا)ص، جامعة جيجل، الجزائر، العدد العاشر، ديسمبر 2011م.
- 27) طانية حطاب، إبراهيم الكوني ومشروعه السردي من طوق الصحراء إل إشعاع العالمية مجلة رؤى فكرية، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة سوق أهراس، العدد الرابع أوت 2016.
- 28) الطيب لحليح، محمد جصاص، الفقر...التعريف ومحاولات القياس، مجلة جامعة بسكرة، أبحاث إدارية واقتصادية، الجزائر، العدد السابع، جوان 2010م.
- 29) عبد الحميد ابن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثالثة، 1976م.
- 30) عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1976م.
- 31) غاده الإمام، جاستون باشلار، جماليات الصورة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
- 32) غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط6، 2006م.
- 33) فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة أول نوفمبر 1954م، طبع في منشورات القصبية- الجزائر، (د ط)، (دت).
- 34) مجموعة من المؤلفين، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد 10، 2014م.
- 35) مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م.

- 36) مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة والإعلام، الجزء الثاني، منشورات دار الشرق، بيروت، (د ط)، (د ت).
- 37) محمد الصالح خزفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005-2006.
- 38) محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط₁، 1993.
- 39) محمد بوعزة، تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط₁، 1431هـ - 2010م.
- 40) محمد صديق حسن عبد الوهاب، رسالة لنيل الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2007-2008.
- 41) محمد عبد الظاهر خليفة، الحياة البرزخية من الموت إلى البعث، دار الاعتصام، (د ط)، (د ت).
- 42) محمد عزام، شعرية الخطاب السردى، من منشورات اتحاد العرب، دمشق (د ط)، 2005.
- 43) محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، الناشر، دار الحوار، سورية، الطبعة الاولى، 1996.
- 44) محمد معتصم، بنية السرد العربي من مسائلة الواقع إلى مسائلة المصير، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف دار الأمان، الرباط، ط₁، 1431هـ، 2010م.
- 45) مرتضى الزبيدي: تاج العروس (دراسة وتحقيق علي بشرى)، مج7، دار الفكر، ط₁، بيروت، لبنان، 1994.
- 46) مصطفى أحمد القاسم، أشجار نخيل البلح، مديرية الإرشاد والإعلام الزراعي، 1997.
- 47) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ط₄، 2004م، مكتبة الشروق الدولية.
- 48) معجم محيط المحيط، باب الباء، (د ط)، (د ت)،
- 49) المنجد في اللغة والأدب والعلوم، مكتبة تور، (د ط)، (د ت)، الجزء الثاني، منشورات دار الشرق، بيروت.

50) ينظر، الحاج ناصر الدين دينيه، مجلة الفيصل، حضور عالمي وإنساني، علي مرزوق، أكاديمي سعودي، 10 يناير 2016، فنون.

المواقع الإلكترونية:

- 1- <https://arMm-wikipedia.org/wiki/>
- 2- www.sahara-online.net
- 3- <https://www.lazemtefham.com>
- 4- <http://m.facebook.com/photo>
- 5- geographie1.blog.spot.com/2013/blog-post-6757.html.

الفهرس

الفهرس

الصفحة	العنوان
	شكر و عرفان
أ - ج	مقدمة
	مدخل: المكان، الأنواع والأهمية
05	1- مفهوم المكان
05	أ- لغة
06	ب- اصطلاحا
08	2- أنواع المكان
09	3- أهمية المكان فنيا
	الفصل الأول: الصحراء بين الماهية والخصائص
13	1- مفهوم الصحراء
14	2- خصائص الصحراء
15	أ- الخصائص السكانية
17	ب- الخصائص النباتية
20	ج- الخصائص الحيوانية
21	د- الخصائص المناخية
21	3- المعالم الصحراوية
23	4- الصحراء في الشعر الجاهلي
25	5- الصحراء في الأدب الحديث
25	أ- في الشعر
27	ب- في الرواية
30	6- الصحراء عند القدامى
31	7- الصحراء عند إتيان دينيه وفرومنتان
	الفصل الثاني: صورة الصحراء في الرواية
38	مكونات عالم الصحراء في الرواية
38	1- عالم الكائنات الصحراوية
38	أ- عالم الإنسان
49	ب- عالم النبات
51	ج- عالم الحيوان
53	2- المكونات الطبيعية لعالم الصحراء
57	3- المكونات الرمزية لعالم الصحراء
68	الخاتمة
71	قائمة المصادر والمراجع
77	الفهرس
	الملحق
	الملخص

الملحق

ملحق

السيرة الذاتية للروائي "خليفة قعيد":

- خليفة قعيد صحفي وكاتب، ولد في 28 سبتمبر 1961 في غوط نخيل حيث كانت تسكن العائلة ببلدية الرقبية ولاية وادي سوف الجزائر، ويندرج خليفة قعيد من أسرة فقيرة تمارس الفلاحة، توفي والده ولم يبلغ من العمر إلا 11 سنة، درس المرحلة الابتدائية بالرقبية والمتوسطة بقمار، والثانوي بثانوية بشوشة بالوادي، حاصل على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي سنة 1987 من جامعة باتنة.

- بدأ نشر أول مقالاته الصحفية وإبداعاته الأدبية في "القصص القصيرة" سنوات "1984 - 1985 - 1986" بصحف النصر والجمهورية والشعب.

- عمل صحفيا مراسلا دائما وكان متعاوناً لعدة وسائل إعلامية منها "مراسل الإذاعة الوطنية" في الوادي قبل وجود إذاعة الوادي ووكالة الأنباء الجزائرية وصحف "الشعب، المساء والنصر" وغيرها من الصحف، وإلى جانب مساهمته في بعض التعليقات والتحليل لعدة أحداث جزائرية في إذاعة "البي سي" الدولية ونشر مقالات تحليلية في القدس العربي. شغل خليفة قعيد مهمة المستشار الإعلامي لمجلة المنار العربي في بداية طريقها كما عمل من سنة 1990 إلى سنة 1992 أستاذ للغة الانجليزية بثانوية محمد العيد آل خليفة بورقلة ، ويجيد اللغتين الانجليزية والفرنسية نطقا وكتابة.

ترأس الإعلامي أول مكتب جهوي رسمي بالجنوب ليومية "السلام العمودية" في ولاية الوادي سنة 1993 بصفاه صحفيا دائما، ثم بعد توقفها عن الصدور انظم إلى العمل الإداري بقطاع الشباب والرياضة ليستدعى بعدها لتقلد منصب مسئول الإعلام والاتصال بديوان والي الوادي من سنة "1995 إلى غاية 1997"، حيث كانت له مبادرة تأسيسية، واصل العمل في المهام الإدارية والإعلامية إلى غاية إلتحاقه بصحيفة الخبر سنة 2004 بصفة رئيس مكتبها في ولاية الوادي.

إستفاد من دورات تكوينية في فنون التحرير ومهام رئاسة وإدارة التحرير تحليل الخبر الصحفي، وتحرير الخبر الاقتصادي في الجزائر وفرنسا والمغرب على يد العرب والأجانب وعمل أستاذا في مركز التدريب الصحفي بالوادي وتخرجت على يده بعض الدفعات في الأنواع الصحفية.

خليفة قعيد حاصل على دبلوم عال في العلاج بالطاقة الحيوية المغناطيسية البشرية سنة 2008م، من معهد متخصص بباريس "فرنسا" وفي سنة 2012 كان عضو في المنطقة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان، كما مارس نشاطات سياسية منها تصدره قائمة ولاية الوادي عن حزب جبهة القوى الاشتراكية "الأفاس" في الانتخابات التشريعية السابقة. وصدرت له سنة 2011م رواية "فجر الغيطان" وكانت أول رواية له على صعيد العمل الروائي، وفي سنة 2012 صدر كتاب له بعنوان «المطالعة العصرية» وفي سنة 2013 أنجز كتاب اللغة الإسبانية من مركز التعليم المكثف للغات، وفي سنة 2017 حصل على الماستر في الأدب والثقافة الشعبية لجامعة حمه لخضر بالوادي. ولا يزال خليفة قعيد حيا يرزق شاهدا على أعماله التي حققت نجاحا كبيرا.¹

ملخص الرواية:

رواية فجر الغيطان رواية اجتماعية، تدور أحداثها حول مجتمعين مختلفين، مجتمع صحراوي بسيط ذو ثقافة تقليدية، ومجتمع مدني ذو ثقافة حضارية (حياة حضارية عصرية، تشتت أسري، غياب الضمير المهني.... إلخ).

صالح البطل الرئيسي للرواية، لم يكن اختيار الروائي لهذا الاسم هكذا اعتباطيا، فصالح أسم على مسمى رجل متشعب بالمبادئ والأخلاق الأصيلة يسكن صالح الصحراء، حيث الحياة البسيطة والعناد لكسب لقمة العيش تنطلق القصة من الغوط ثم الفضاء الاجتماعي الصحراوي بكل أبعاده خاصة صعوبة العيش ومشاق الحياة والصراع مع الطبيعة

¹ - خليفة قعيد: لقاء شخصي معه يوم: 2017/02/15 على الساعة 16:00 مساء ومراسلة عن طريق الفايبر بوك في نفس اليوم على الساعة 21:45 ليلا.

الصحراوية القاسية وصمود الإنسان فيها وتصميمه على أن يحولها إلى واحة خضراء، ثم تتوجه خيوط القصة نحو الشمال، حيث المدينة بما تحمله من التقاليد الحضارية الجديدة، وما هب عنها من رياح العصرية، آخذة منه التفسخ والتشتت الأسري وما ينطوي عنه من حب الذات والأنانية واستعمال والمكائد والدسائس في غياب الضمير المهني والمصلحة العامة، يعمل صالح في غوط النخيل الذي ورثه عن أبيه بعد عجزه عن العمل، حيث يرفع الرمل من أسفل غوط النخيل إلى أعلاه، يساعده في عمله حمارة حيث يقوم بتثبيت زنبيل ممتلئ بالتراب على ظهره، ليقوم هو الآخر برفع الزنبيل من أسفل غوط النخيل إلى أعلاه، وذلك بغرض تشكيل أو تكوين حفرة تكون قريبة من المياه الباطنية للأرض لغرس النخيل فيها، حيث يرتوي بها دون سقاية، كان يرى في واقعه موت الكثيرين تحت الردم ومنهم خاله "الجموعي" وغيره كثيرين، يرى أيضا عجز والده عن العمل فقد انحنى ظهره وبدا كشيخ طاعن في السن بسبب هذا العمل الشاق، وأمه رافضة أن يكون مصير ابنها كغيره، تتمنى له حياة أفضل، بعد شهور تتقدم أم صالح لخطبة "رقية" ابنت خاله "الجموعي" وهي عنصر محرك لأحداث كثيرة، حيث كان لها الفضل في إدخاله لفرع شركة التمور. يعمل صالح في الفرع حيث يبلي بلاء حسن ويجتهد ليصبح مديرا لهذا الفرع وبفضل جهده يكافئ بمسؤولية الأم بالشمال، ينتقل بعدها مع أولاده وزوجته إلى المدينة بطلب من مدير الشركة، رقية ابنت الريف التي تعمل في الفرع الجنوبي، عرفت بحبها وإخلاصها لزوجها صالح حيث كانت له سندا في كل خطوة من خطوته نحو التقدم والنجاح. بعد انتقاله إلى المدينة مع عائلته يصدم ببعض الشخصيات الفاعلة في الشركة، "رشيد، صونيا وأخوها كريم، نادل، موح، والحاج الربيحي صاحب قهوة الأهرام، الصحافي حميد...." يندمج صالح في حياة المدينة ورغم شربه للخمر وحبه لصونيا إلا أنه بقي مخلصا لعمله دوما، كأن من تربي بين النخيل والغيطان، ففي السريرة لا يقبل غير وسط ناصع البياض، فرغم ما في المدينة من تغيرات لحقت به وأسرته ظل كما هو، وهذا ما جعل مدير الشركة، رشيد ينتقم منه. رشيد المسئول المباشر للشركة يقوم بترقية صالح، ولما لم يسايره في أعمال الفساد (اختلاسات، تبيض الأموال....)، يضع له كمين لا أخلاقي وهو اتهامه باغتصاب السكرتيرة هيام، وهي امرأة

لعوب يستعملها رشيد في تنفيذ خطط الفساد المختلفة. حيث يطرد من عمله وإعانة أسرته، تحاول زوجته رقية السعي لمساعدته إلى أن تدخل الشركة التي كان زوجها عاملا بها كعامله تنظيف، بينما هو يشتغل في مقهى الأهرام ورغم مرضه تتخلى عنه زوجته كون مدير الشركة قايضها إما ترك زوجها أو طردها من العمل فاختارت العمل على موت أطفالها جوعا يتعرف عل الصحفي حميد وهو عنصر آخر محرك للأحداث حيث ساعده على نشر قضيته في الصحافة الوطنية علاقته بالنادل موح في الخارج وتعرفه على ملفات مشبوهة، حرصه على توصيلها للوزارة جعل رشيد يثور عليه وينصب له المكائد.

تميل إلى صالح صونيا وتتعاطف معه بل ويعيد معها الزواج وينجب طفلا لهما (رامي) كان له بالغ الأثر في الجمع بين قيمتين مختلفتين أخلاقيتين "الصحراء والمدينة".

عودة موح لأرض الوطن غيرت مجرى الأحداث، ففضله تكشف كل خطط الفساد التي قام بها رشيد وأعوانه، حيث أعترف للأمن بكل الحقائق موثقة بملفات يتم القبض على رشيد وجماعته وانتصار الحق وانتحار صونيا وذلك برمي نفسها أمام شاحنة خوفا من السجن. يسترجع صالح كرامته ويتم تعيينه مديرا للشركة، عودة رقية له وطلب السماح منه ثم أخيرا عودته إلى أصله ومسقط رأسه. وهناك يعمل على بناء فرع للشركة ليعيش في أحضان النخيل مرة ثانية وعودة صالح ستكون بداية جديدة وفجرا مشرقا للغيطان.

وادي سوف:

مدينة الوادي المعبر عنها بمدينة ألف قبة الواقعة مسافة 220 كلم جنوبا من مدينة بسكرة اشتهر أهل منطقة سوف بالحيوية والذكاء في الميدان العلمي والاقتصادي وبالميل الكبير للعلماء والمصلحين كما اشتهروا بالتدين والأخلاق الفاضلة. كانت نسبة الثقافة العربية عندهم مرتفعة جدا ولا فرق بينهم بين رجالهم ونساءهم كما كان الطابع العربي واضحا في لون تفكيرهم وتقاليدهم بارزا في عوائدهم وسلوكهم يجلون الكرم والفاء بالعهد والأمانة. غيورون على لغتهم ووطنهم غيرة نابعة عن نفس طاهرة خالصة لله وللوطن وكانت لغة التخاطب عندهم أقرب ما تكون من لغة أهل الجزيرة العربية، إذ يحس السامع في لهجتهم

←

وأسلوب خطابهم اسلونا قرءانيا وصدق في التعبير عن مكنونات قلب طاهر ونفس صافية
ينشدان الخير والحق والجمال ومن المعروف أيضا عن أهل سوف تعطشهم للعلم والتعلم
وتحمسهم للمبادئ الإسلامية والحركات الوطنية فلم تخلق منطقتهم عبر طريقهم المديد من
علماء وفقهاء ومصلحين أذكر منهم علي سبيل المثال الشيخ عبد العزيز الشريف الذي
عرف بتحديه للسلطات الفرنسية وما أن بدأت الحرب التحريرية الجزائرية حتى كان أهل
سوف من المتحمسين لرفع مشعل الثورة ضد الاحتلال الأجنبي وقد سجل أبناءها أثناء
الكفاح وقائع بطولية كانت محل إعجاب العدو والصديق.¹

¹ - ينظر، إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص: 29 - 30.

ملخص:

موضوع المذكور عنون صورة الصحراء فرواية "فجر الغيطان" لـ خليفة قعيد حيث كانت هذه الرواية تتحدث عن المجتمع الصحراوي وهذا ما تطرقنا اليه حيث تناولنا فيها مكونات عالم الصحراء في الرواية من كائنات صحراوية بما فيها من انسان وحيوان ونبات ومكونات طبيعية ومكوناتها الرمزية فالرواية تعطينا صورة من صور المعاناة الحقيقية التي يعيشها سكان المنطقة الصحراوية بسبب قساوة العيش ورداءة الجو الذي يمتاز بالحرارة صيفا و البرودة شتاء .

الكلمات المفتاحية: صورة، الصحراء، رواية، فجر الغيطان.

Abstract :

Le thème du mémo est l'image du désert, l'histoire de "Dawn of the Ghaitan" de Khalifa Qa'id, où ce roman parle de la société du désert: c'est ce dont nous avons parlé, des êtres du désert, y compris des êtres humains, des plantes, des éléments naturels et des éléments symboliques. Images de la véritable souffrance des habitants de la région désertique en raison de la dureté de la vie et du mauvais temps, caractérisés par la chaleur en été et le froid en hiver.

Keywords: desert, novel, dawn of the devil.